التصنيف: أهميته ونظمه

التصنيف فى اللغة هو جمع الأشياء المتشابهة بحسب ما بينها من تشابه وفصل الأشياء غير المتشابهة بحسب ما بينها من تنافر أو عدم تجانس. وهذه العملية الغريزية نمارسها فى حياتنا اليومية ربما دون أن نشعر فالسوبرماركت ينظم السلع على رفوفه: كل مفردات السلعة الواحدة معاً وداخل السلعة الواحدة الصنف الواحد يجمع معاً. فالصابون يوضع فى مكان ومعجون الأسنان فى مكان والأرز فى مكان وهكذا وداخل مكان الصابون يجمع صابون بالموليف معاً يليه صابون دوف ثم صابون زست وهلم جرا. والفاكهى ينظم كل نوع من الفاكهة على حدة وكل نوع من الخضروات على حدة: التفاح الأحمر وحده، التفاح الأصفر وحده، الأخضر وحده، البرتقال وحده، وداخل البرتقال يرتب أصنافه المتعددة كلاً على حدة وهكذا. ونحن فى بيوتنا نخصص غرفة للاستقبال وأخرى للأكل وثالثة للنوم ورابعة للطبخ وهكذا.

إننا نصنف البشر إلى أبيض وأصفر وأحمر وأسود... فالتصنيف نحن نقوم به للعديد من الأسباب ويأتى على رأسها:

١ ـ أنه يؤدى بنا إلى أداء أعمالنا اليومية بدون تفكير وبتلقائية. وبدونه نحتاج إلى التفكير العميق فى كل مرة نقوم فيها بنفس العمل. ومعنى هذا أننا نوفر الوقت والجهد ومن ثم المال فى أداء أعمالنا. هب أن السوبرماركت أو أن الفاكهى لم يصنف سلعه وأنه كوّمها جميعا مختلطة على هيئة تل أو كومة ضخمة دون تمييز وجاءه زبون يحتاج إلى كيلو طماطم، أو كيلو برتقال، فإن الأمر يتطلب وقتا وجهداً كبيرا لكى يجمع للزبون ما يريده بينما بالتصنيف وجمع الأشياء المتشابهة معاً يعمد الزبون بنفسه إلى المكان الذى يتجمع فيه الصنف الذى يريده ويلتقط ما يرغبه فى أقل وقت وأيسر مجهود.

٢ ـ التصنيف يعوِّد المرد على التفكير المنطقى والسلوك المنظم ومن ثم فإنه يقيه كثيراً من مشاكل الحياة اليومية الناتجة عن فوضى التفكير وفوضى السلوك، ويجعله يعمد إلى ما يريد مباشرة دون متاهة ودون فاقد.

وإذا كنا نتبع التصنيف فى حياتنا اليومية فإن المكتبات بما تقتنى من مصادر للمعلومات تصل إلى ملايين القطع أو مئات الآلاف أو حتى عشرات الآلاف هى أحوج ما تكون إلى عملية التصنيف حتى نستطيع الوصول إلى أى كتاب على رفوفها بسهولة ويسر ونسترجع أية معلومة بأقل قدر ممكن من الجهد. تصنيف مصادر المعلومات فى المكتبات يطلق عليه اصطلاح «التصنيف الببليوجرافى» هذا التصنيف الببليوجرافى نوعان: تصنيف صناعى وتصنيف طبيعى.

التصنيف الصناعى يعتمد على خصائص عرضية فى جمع الأشياء وفصلها بعضها عن بعض، وهى فى حالة مصادر المعلومات قد تكون **الشكل**: المخطوطات وحدها ـ المطبوعات: الكتب ثم الدوريات ـ الخرائط ـ المصغرات الفيلمية ـ التسجيلات الصوتية ـ التسجيلات المرئية... قد تكون **اللون**: الكتب ذات اللون الأبيض ـ الكتب ذات اللون الأحمر ـ الكتب ذات اللون الأزرق ـ الكتب ذات اللون الأصفر وهكذا. وربما يكون اللون من وضع المكتبة نفسها لتكوين دلالات معينة خاصة فى حالة كتب الأطفال لتقسيمها إلى مستوى العمر أو السن كأن يكون اللون الأبيض لكتب مرحلة ما قبل المدرسة أى قبل سن الرابعة، واللون الأحمر مثلا للسن من ٤ ـ ٦، اللون الأزرق للسن من ٦ ـ ٩ والأصفر للسن من ٩ ـ ١٢ وهلم جرا. وقد تكون الخاصية العرضية فى التصنيف الصناعى هى **الحجم**: الكتب من القطع الكبير ثم الكتب من القطع المتوسط ثم الكتب من القطع الصغير وهكذا. وما تزال هناك مكتبات فى عالمنا العربى تصنف كتبها حتى الآن حسب الحجم والحكمة هنا هى التوفير فى الحيز. وقد يكون التصنيف الصناعى طبقا **لسنوات النشر** بحيث تجتمع فى مكان واحد تلك الكتب التى نشرت فى سنة واحدة تليها السنة التى بعدها وهكذا. اكثر من هذا فقد يكون ترتيب الكتب طبقا **لأرقام مسلسلة**. هذه الطرق جميعا تستند إلى صفات ليست جوهرية فى مصادر المعلومات.

أما التصنيف الطبيعى فهو يستند إلى خاصية جوهرية أساسية فى مصادر المعلومات ألا وهى الموضوع الذى تدور حوله المادة العلمية فى الوعاء أى المحتوى نفسه وليس الغلاف أو الظرف الذى يغطى أو يحمل المادة. ولذلك فإن التصنيف الطبيعى يعرف على أنه «تقسيم منطقى للمعرفة البشرية يتداعى من الأعم إلى العام إلى الخاص فالأخص فالأكثر خصوصية وهكذا حتى أصغر جزئية فى هذه المعرفة البشرية ومن هذا التقسيم ينتج لدينا شجرة لكل المعرفة البشرية: الجذع تخرج منه الشعب وكل شعبة تخرج منها الفروع والفروع تخرج منها الأغصان والأغصان يخرج منها عناقيد وأوراق...».

ومن هذا المنطق نجد هناك عدة تصنيفات ببليوجرافية طبيعية عالمية من بينها: تصنيف ديوى العشرى، والتصنيف العشرى العالمى وتصنيف مكتبة الكونجرس وتصنيف بليس وتصنيف براون وتصنيف رانجاناثان وغيرها. والتصنيفات الطبيعية الببليوجرافية تشترك جميعا فى مجموعة من الصفات أو السمات العامة ثم تختلف بعد ذلك فى التفاصيل والجزئيات. أما الخصائص العامة المشتركة بينها فلا بد وأن تكون:

أولا: التقسيم المنطقى للمعرفة البشرية: حيث لا بد وأن تكون هناك فلسفة أو منطق وراء عملية التقسيم تتداعى على أساسه الأقسام إلى شعب والشعب إلى فروع فى تدرج نازل من الأكبر إلى الكبير إلى الصغير والأصغر، هذه المنطقية تعصم التصنيف من العفوية والاعتباطية وتساعد على الحفاظ على الروابط والعلاقات الطبيعية بين جزئيات المعرفة البشرية وبالتالى يأتى الموضوع الأم ومعه أبناؤه وأحفاده وجميع أفراد سلالته فى مكان واحد فى تدرج هرمى. هذه المنطقية فى التقسيم قد تختلف من تصنيف إلى تصنيف وذلك طبقا للزاوية التى ينظر منها التصنيف إلى المعرفة البشرية والرؤية التى يحللها من خلالها ولكنها تبقى الأساس فى عملية التقسيم.

من التصانيف ما يقسم المعرفة إلى عشرة أقسام رئيسية وكل قسم ينقسم إلى عشرة شعب وكل شعبة تتشعب إلى عشرة فروع وكل فرع يتفرع إلى عشرة رتب وكل رتبة تترتب فى عشرة مباحث بينما تصنيف آخر يقسم المعرفة إلى واحد وعشرين قسماً ولا يلتزم عند تقسيم الأقسام إلى شعب والشعب إلى فروع بعدد محدد بل يترك العدد حسب كل شعبة وفرع على حدة وبالتالى يتفاوت عدد التقسيمات من شعبة إلى شعبة ومن فرع إلى فرع. من التصانيف ما يقسم المعرفة البشرية إلى خمس وثلاثين

قسماً رئيسياً. ومنها ما يقسمها إلى خمس وأربعين ومنها ما يقسمها إلى خمسين وهكذا تتفاوت الرؤية فى التقسيم ولكل فلسفته.

وعلى سبيل المثال يقسم تصنيف ديوى العشرى ـ كما يبدو من اسمه ـ المعرفة البشرية إلى عشرة أقسام رئيسية وكل منها إلى عشرة شعب والأقسام الرئيسية هى:

المعارف العامة	العلوم البحتة
الفلسفة وعلم النفس	العلوم التطبيقية
الديانات	الفنون
العلوم الاجتماعية	الآداب
اللغات	الجغرافيا والتاريخ والتراجم

أما المنطق الكامن وراء هذا التقسيم فقد تخيل ديوى الانسان أول ما هبط على الأرض فإنه بدأ بالتساؤل عن نفسه والكون المحيط به (الفلسفة وعلم النفس) ثم اهتدى الانسان إلى خالقه وخالق الكون وإقامة الصلات بينه وبين الخالق (الديانات)، وكلما سار الانسان فى الزمان والمكان وجد جماعات أخرى وأخذ يقيم علاقات معها ويدرس أحوالها (العلوم الاجتماعية) وكان لابد من تطوير رمز للتخاطب بين هذه الجماعات بعضها وبعض وبين أفراد الجماعة الواحدة (اللغات)، وبدأ الانسان يفكر تفكيرا مجرداً فى الشمس والنجوم والأرض والنبات والحيوان والجسم البشرى (العلوم البحتة)، ثم يستغل هذه المعلومات المجردة فى تحقيق فوائد ملموسة لنفسه، استغلال المعلومات فى الزراعة والطب والمعمار والطهى وتشييد المقابر... (العلوم التطبيقية) وبعد تعب الانسان وارهاق نفسه فى العمل التطبيقى كان ولابد من الترويح والترفية (الفنون) وتسجيل هذه الفنون (الآداب)، وأخيراً وجد الانسان أن رحلته على الأرض تستحق الوصف والحفظ للأجيال المتعاقبة: وصف الأرض، وصف الأحداث وتسجيلها، وصف عظماء الرجال ومشاهيرهم (الجغرافيا والتراجم والتاريخ). هكذا قسم ديوى المعرفة البشرية إلى تسعة أقسام رئيسية جاءت فى ترتيب منطقى من وجهة نظره ثم وجد أن هناك بعض الموضوعات التى لا تندرج منطقيا تحت أى من الأقسام التسعة فجمعها معاً فى قسم عام وضعه فى بداية التصنيف ليتألف تصنيفه بذلك من عشرة أقسام. كما سنرى ذلك تفصيلا فى حينه.

قسم ديوى كل قسم بعد ذلك إلى شعب عشرة أيضا راعى فيها المنطقية أيضا وعلى سبيل المثال:

العلوم الإجتماعية

الإحصاء	الخدمة الإجتماعية
السياسة	التربية والتعليم
الاقتصاد	التجارة والموصلات
القانون	العادات والتقاليد والفولكلور
الإدارةالعامة	

هذا بطبيعة الحال إضافة إلى الشعبة العامة التى ترد فى بداية كل قسم على غرار القسم العام الذى يبدأ به التصنيف. وهكذا الأمر فى جميع خطط التصنيف الطبيعى الببليوجرافى.

ثانيا: الترميز: بمعنى إعطاء كل موضوع داخل التصنيف رمزاً أو الاشارة إليه بمدلول شفرة. هذا الرمز أو الشفرة تدل على الموضوع وتغنى عن تسميته ولا يمكن أن يزاحمه فيه موضوع آخر. هذا الرمز قد يكون رمزاً **نقياً** أى يتألف من أرقام فقط أو حروف فقط، وقد يكون رمزاً **مختلطاً** أى يتألف من مزيج من الأرقام والحروف وربما علامات أخرى غير رقمية أو أبجدية. وعلى سبيل المثال فإن تصنيف ديوى العشرى والتصنيف العشرى العالمى يستخدمان رمزاً نقيا (أرقاماً فقط) وتصنيف مكتبة الكونجرس يستخدم رمزاً مختلطاً (حروفاً وأرقاماً) وتصنيف رانجاناثان يستخدم هو الآخر رمزاً مختلطاً (حروفاً وأرقاماً وعلامات مثل الواوية والشارحة...) . هذا الرمز يطلق على الكتاب ليحدد موضوعه وأكثر من هذا فإنه يعكس المنطقية والتدرج من القسم إلى الشعبة إلى الفروع إلى الغصن إلى الرتبة...

وعلى سبيل المثال فقد آثر ديوى فى تصنيفه استخدام الرمز النقى لسهولته وأصر على الأرقام العربية ـ دون اللاتينية ـ لمرونتها الشديدة والمثال الاتى يكشف عن ذلك:

٠٠٠ المعارف العامة	٥٠٠ العلوم البحتة
١٠٠ الفلسفة وعلم النفس	٦٠٠ العلوم التطبيقية
٢٠٠ الديانات	٧٠٠ الفنون
٣٠٠ العلوم الاجتماعية	٨٠٠ الآداب
٤٠٠ اللغات	٩٠٠ الجغرافيا والتاريخ والتراجم

٣٠٠ العلوم الإجتماعية

٣١٠ الاحصاء	٣٦٠ الخدمة الاجتماعية
٣٢٠ السياسة	٣٧٠ التربية والتعليم
٣٣٠ الاقتصاد	٣٨٠ التجارة والمواصلات
٣٤٠ القانون	٣٩٠ العادات والتقاليد والتراث
٣٥٠ الادارة العامة	

ويقسم بعد ذلك كل شعبة إلى الـ عشرة فروع، كل فرع يأخذ رمزاً متفرعاً من رمز الشعبة ٣١٠ تقسم إلى ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩. وكل فرع يقسم إلى عشرة أغصان يأخذ كل منها رمزاً يفرع من رمز الفرع وذلك على المثال الآتي:

٣١١,١، ٣١١,٢، ٣١١,٣، ٣١١,٤، ٣١١,٥، ٣١١,٦، ٣١١,٧، ٣١١,٨، ٣١١,٩

ثالثا: المرونة: المعرفة البشرية كائن حي ينمو في بعض أجزائه وينكمش في أجزاء أخرى وذلك تبعا لظروف العصر وظروف التطور الحضاري. وعلى سبيل المثال كانت المعرفة البشرية في العصور القديمة تتألف من كم هائل من الموضوعات، انكمشت هذه الموضوعات في العصور الوسطى لتندرج جميعها تحت اسم الفلسفة ثم أخذ يخرج منه بطن هذه الفلسفة الموضوعات مرة أخرى ويستقل الواحد منها عن الأم بل ويتفرع من كل منها فروع وتستقل بدورها حتى لم يعد للفلسفة نفسها سوى بضعة مباحث قليلة هي الحق والخير والجمال والمنطق، بل إن هذه جميعا تحاول الآن اللحاق بمجالات أخرى فالحق يحاول اللحاق بالقانون والخير بالديانات والجمال بالفن والمنطق بالرياضيات

والحاسب الآلى. وجدت على المعرفة موضوعات لم يفكر فيها الانسان من قبل كالذرة والحاسب الآلى والليزر وغيرها كثير جدا فى عصر يوصف بأنه عصر المعلومات أو عصر الانفجار الفكرى. ولما كان التصنيف هو هندسة المعرفة الانسانية فإنه لابد وأن يكون مرنا بحيث يستوعب الموضوعات الجديدة فى مكانها الطبيعى داخل المنطق العام للخطة ويلفظ الموضوعات التى تموت دون الاخلال بالنسق العام للتصنيف. ويجب أن يكون للموضوع الجديد فى خطة التصنيف ليس فقط مكان منطقى ولكن أيضا رمز منطقى، ومع هذه الضرورة فإن الموضوع الذى يستبعد من خطة التصنيف لا يجب أبداً استخدام رقمه وإعطاؤه لموضوع آخر.

لقد وضع ديوى تصنيفه فى القرن التاسع عشر وكان يتألف من ٤٤ صفحة فقط ومات عنه فى نهاية ١٩٣١ وهو فى طبعته الثالثة عشرة فى نحو ثلاثمائة صفحة وهو الآن فى أربع مجلدات تصل إلى نحو أربعة آلاف صفحة مما يعكس النمو الكبير فى نسيج المعرفة البشرية والذى يتم بين عقد وعقد.

٤ ـ خطة تصنيف سابقة الاعداد والتجهيز: فلو أن كل مكتبة على حدة بذلت مجهوداً شاقا فى إعداد خطة تصنيف خاصة بها لوجدنا آلافا من التصانيف فى الدولة الواحدة بل وعشرات من التصانيف داخل النوع الواحد من المكتبات فى الدولة الواحدة، ولكان هناك فاقد كبير فى الوقت والجهد والمال ولانعدم التوحيد بين المكتبيين وشق الادراك على المستفيدين لأنهم سيجدون تفاوتات كبيرة عندما ينتقلون من مكتبة إلى المكتبة الأخرى سواء داخل النوع الواحد أو حين الانتقال إلى نوع آخر من المكتبات ولذلك أفرزت مهنة المكتبات والمعلومات «أدوات قياسية للعمل» ومن بين هذه الأدوات الرئيسية خطط التصنيف. ومن هنا تجد المكتبة خططاً سابقة الإعداد والتجهيز تختار من بينها ما يصلح لها. ومن هنا تجد الخطة الواحدة مطبقة فى عشرات الآلاف من المكتبات عبر دول العالم وتجد خططاً شائعة فى نوع معين من المكتبات سواء داخل الدولة الواحدة أو على النطاق العالمى.

وأيا كانت خطة التصنيف التى تتبناها المكتبة مما سنعرض له تفصيلاً فيما بعد فإن الخطة لابد وأن تتكون من ثلاثة ملامح رئيسية هى المقدمة ودليل العمل ـ الجداول ـ

الكشاف. ففى المقدمة يشرح واضع الخطة فلسفته فى تصنيفه وكيفية تقسيم المعرفة والمنطق الكامن وراء هذا التقسيم، ودليل العمل يبسط كيف تستخدم الخطة وكيف تطبق. أما الجداول فهى تتضمن التقسيمات الهرمية للمعرفة البشرية وأمام كل جزئية من جزئياتها الرمز الخاص بها. والكشاف ينظم كل الجزئيات التى ترد فى الجداول فى ترتيب هجائى مطلق مع وضع الرمز أمام كل منها ومن ثم يمكن الرجوع من الكشاف إلى كل جزئية فى الجداول بهذا الرمز.

ونظراً لتعدد خطط التصنيف المطروحة فى ساحة المكتبات والمعلومات فسوف نعرض سريعاً لأهم هذه الخطط ثم نفصل القول فى ديوى العشرى.

ربما يكون مفيداً قبل الدخول فى تفاصيل تصنيف ديوى العشرى أن نلقى نظرة سريعة على تاريخ التصنيف عموما ثم نعرج على أهم أنظمة التصنيف العامة لنرى مكان تصنيف ديوى العشرى بينها. وتركز هنا على التصانيف الأساسية التى انتشرت بدرجة أو بأخرى بين المكتبات فى الوقت الحاضر، والهدف هو إعطاء نظرة فوقية طائرة على الخطوط العامة العريضة فيها بقصد الإحاطة بالملامح العامة لكل منها والأسلوب الذى تستخدم به والاضافة التى يقدمها كل منها إلى التصنيف نظريا وعمليا.

ولعل أهم الكتب التى كتبت فى تاريخ التصنيف هو كتاب إ.س. ريتشارسون «التصنيف نظريا وعمليا والذى نشر سنة ١٩٠١ فى نيويورك. والذى جمع فى ملحق كتابه أنظمة التصنيف الباكرة.

والحقيقة أن المحاولات المبكرة فى تصنيف المكتبات يمكن تتبعها فى مكتبات مصر القديمة وخاصة مكتبة رمسيس الثانى التى قيل أنها كانت تضم أكثر من عشرين ألف عمل وكانت مصنفة على الموضوعات فى قطاعات عريضة وللأسف لم يصلنا فهرس هذه المكتبة كما وصلتنا فهارس المكتبات المصرية الأخرى حيث كانت تحفر أسماء الكتب على جدران المكتبة، بيد أن هذا العدد الضخم من الأعمال فى مكتبة رمسيس لم يمكن من تسجيله على جدران تلك المكتبة كما كانت عادة المكتبات المصرية.

ويقول بعض علماء التاريخ الفكرى أن التصانيف الأولى كانت مجرد محاولات لتنظيم الفكر الانسانى وتأطيره ووضع خريطة له أكثر مما كانت تصنيفا عمليا يهدف إلى

ترتيب الكتب على الرفوف وتحديد مكانها لتيسير الوصول إليها ولا يذهب العلماء فى هذا الصدد لأبعد من أفلاطون فى جمهوريته التى وضع فيها أول نظام معروف لتصنيف المعرفة، مرورا بطبعة الحال بأرسطو وبلينى والفلاسفة العرب فى العصور الوسطى الإسلامية حتى القرن التاسع عشر. ولما كانت هناك مكتبات فمن الضرورى أن يكون هناك ترتيب للكتب ولأن تلك المكتبات اندثرت فبالتالى اندثرت معها طرق التصنيف التى كانت متبعة فيها ولم يصلنا خبرها بالتفصيل. وبعد مكتبة رمسيس الثانى يرد خبر مكتبة أشوربانيبال ذات الألواح الطينية التى يقال أنها كانت مقسمة إلى قسمين كبيرين على الأقل أحدهما عن العلوم الأرضية والثانى عن العلوم السماوية. ويقول ج. و. كلارك فى كتابه عن حفظ الكتب أن أرسطو قد علم ملوك مصر فن ترتيب الكتب فى المكتبات.

وربما كان التصنيف الذى وصلنا خبره بشئ من التفصيل هو تصنيف كاليماخوس الذى وضعه لمكتبة الفراعنة فى الاسكندرية فيما تقول ريتا مارسيللا و روبرت نيوتن فى كتابهما «الدليل الجديد فى التصنيف» حيث عمل كاليماخوس رئيساً للمكتبة بين ١٦٠ ـ ٢٤٠ ق.م وكانت الأقسام الرئيسية فى هذا التصنيف تسير على النحو الآتى:

١ ـ الفلاسفة

٢ ـ المؤرخون

٣ ـ الخطابيون

٤ ـ كتاب المجموعات

وفى العصور الوسطى بشقيها الاسلامى والمسيحى لم تصلنا إلا معلومات قليلة ومليئة بالفجوات عن ترتيب الكتب فى المكتبات (يرجع إلى موسوعة الفهرسة الوصفية للمؤلفين) ولعل أصل التصانيف الببليوجرافية الحديثة هو ذلك التصنيف الذى وضعه (الدوس مانيتوس) فى باريس سنة ١٤٩٨ وعرف باسم تصنيف مكتبات باريس ويقصد بالمكتبات هنا متاجر الكتب الذى كان له أكبر الأثر فيما جاء بعده من تصانيف حتى تصنيف ديوى العشرى نفسه وهو الذى طوره فيما بعد تشارلز برونيه. وكان هذا التصنيف يقسم المعرفة البشرية إلى خمسة أقسام رئيسية وتحت كل منها فروع وفروع الفروع. أما الأقسام الخمسة الرئيسية فهى:

١ ـ اللاهوت

٢ ـ القانون (الشريعة)

٣ ـ التاريخ

٤ ـ الفلسفة

٥ ـ الآداب والفنون.

ويندرج تحت هذه الأقسام الخمسة الرئيسية ١١٠٠٠ موضوع. ولأنه ليست هناك ترجمة لهذا النظام بالإنجليزية فإن تأثيره فى المكتبات البريطانية والأمريكية كان محدوداً بينما كان تأثيره فى مكتبات فرنسا عظيماً. ومما يذكر أن المكتبة الأصلية فى باريس تستخدم هذا النظام بصيغة برونيه وقد وسعته توسيعاً كبيرا كما يستخدم بنجاح كبير فى مكتبات أخرى. والحقيقة أن هذا النظام العتيق له نظام ترقيم معقد وغير عملى ولا يصلح للمكتبات العصرية. وأهميته تكمن فى أنه حلقة تاريخية هامة فى تاريخ التصنيف الببليوجرافى، وأنه قد استخدم فى تصنيف عدد من الببليوجرافيات الهامة فى فرنسا.

وجنبا إلى جنب مع التصانيف الببليوجرافية ظهر عدد من التصانيف الفلسفية أو تصانيف المعرفة البحتة؛ لعل أهمها تصنيف كونراد جزنر و فرنسيس بيكون. فقد قام جزنر (١٥١٦ ـ ١٥٦٥) بوضع تصنيف للمعرفة طبقا للمفاهيم المجردة يتدرج طبقا لنظام تقدم الدراسات أى حسب أولويات ظهورها على خريطة العلم. وقد قسم كلا من الفنون والعلوم إلى نوعين:

١ ـ الفنون والعلوم الفرعية

٢ ـ الفنون والعلوم الأساسية

وقد وصف الفنون والعلوم الفرعية بأنها السحر والشعوذة، الجغرافيا والتاريخ لغير المتعلمين والفنون الميكانيكية ومن هذه العلوم الأولية أعد العقل لكى يتقدم إلى الأمام نحو القسم الثانى الأعظم أى الفنون والعلوم الأساسية أو علوم (اللب) التى تتألف منها المعرفة الحقيقية وهى جميعا نوع من الفلسفة أى الحكمة: الميتافيزيقا ـ العلوم الطبيعية ـ الأخلاق ـ العلوم المدنية ـ العلوم الاقتصادية ـ السياسة ـ القانون ـ الطب ـ اللاهوت.

ومن الجدير بالذكر أن كونراد جزنر أصدر أول ببليوجرافية شاملة عالمية عرفت باسم (المكتبة الشاملة) بين ١٥٤٥ ـ ١٥٤٨.

أما فرنسيس بيكون فقد أسس رسالته عن «تقدم العلم الانسانى» (١٦٠٩) على خريطة للمعرفة البشرية. وقد قسم هذه الخريطة وفرعها بناء على الملكات الفكرية الثلاث وهى: الذاكرة ـ الخيال ـ العقل. وقد أثمرت هذه الملكات الأقسام الأساسية الثلاثة للمعرفة الانسانية وهى: التاريخ والشعر والفلسفة. ويسير تصنيفه للمعرفة على النحو الآتى:

الذاكرة	التاريخ
	ـ التاريخ المدنى
	ـ التاريخ الكنسى (اللاهوت)
الخيال	الشعر
	ـ الأدب
	ـ الفنون
العقل	الفلسفة
	ـ العلوم
	ـ الفلسفة المدنية، علم الاجتماع، السياسة
	ـ علم الاقتصاد

وعلى الرغم من أن ذلك يعكس المعرفة البشرية فى عصره (مطلع القرن السابع عشر) إلا أن تصنيف بيكون كان له أثره فيما بعد، فقد أثر تأثيراً مباشرا فى مكتبة بودلى (مكتبة جامعة اكسفورد) وكان مخطط أول تصنيف لمجموعات مكتبة الكونجرس. وأساس تصنيف هاريس الذى اعتمد عليه ملفل ديوى فى التصنيف العشرى كما سنرى فيما بعد.

وقد ظهرت أنظمة أخرى لتصنيف المعرفة البشرية فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وعلى سبيل المثال ليبنتز (الألمانى) الذى وضع نوعاً من التصانيف الوجهية وذكر فى مقدمة عمله أن المصنف عادة ما يتردد بين موضعين أو ثلاثة على قدم المساواة فى

الأهمية؛ وما تزال ملاحظته لها نفس الفاعلية والقوة فى نظرية التصنيف. وهناك أيضا تصنيف كومت وغيرها وهى جميعا لعبت دوراً هاماً فى وضع تصور لتداعى أقسام المعرفة البشرية فى التصانيف الببليوجرافية الحديثة.

ولعل بدايات التصنيف الحقيقى كما نعرفه اليوم جاءت فى القرن التاسع عشر الأمريكى مع إنشاء وتضخم مكتبة عظيمة مثل مكتبة الكونجرس. التى بدء ترتيب مجموعاتها على أساس الحجم. وقد نمت المجموعات بسرعة من ٩٦٤ مجلدا سنة ١٨٠٢، إلى ٣٠٧٦ مجلداً فى ١٨١٢ وأصبح معه الترتيب بالحجم غير مجد ولابد من إدخال نوع من الترتيب الموضوعى. ولم يتأت ذلك إلا بعد حريق المكتبة سنة ١٩١٤ خلال حرب التحرير أو حرب الاستقلال كما تعرف هنا فى الولايات المتحدة. وعندما باع الرئيس الأمريكى (السابق حينئيذ) توماس جيفرسون مجموعته الخاصة إلى المكتبة (٧٠٠٠ مج) كان قد وضع لها نظاماً للتصنيف يقوم على أربعة وأربعين قسماً أساسياً بناه على تقسيم فرنسيس بيكون للمعرفة وداخل كل قسم رتبت الكتب هجائيا بعناوينها. وهذا التصنيف مع تغييرات طفيفة ظل مستخدما لعقود طويلة فى المكتبة بعد ذلك.

وكانت هناك قبل تصنيف ديوى كثير من التصانيف المكتبية الخاصة استخدمت «الأرقام» فى ترميز موضوعاتها بل والأرقام العشرية ذاتها. ولكنها جميعاً كما سنرى فيما بعد كانت تعمل على أساس «المكان الثابت للكتاب» ذلك أن الرقم كان يعطى للرفوف وليس للكتب، أى يحتم وجود مكان محدد على الرف لكل كتاب كوحدة مادية وليس كوحدة فكرية يمكن أن تنتقل من مكان إلى مكان.

وربما كان ذلك من تأثير «عيون الحمام» فى المكتبات القديمة التى كانت توضع فيها لفائف البردى أو الرق فى مواضع ثابتة. ومن الواضح أنه مع التطور الهائل فى المكتبات والذى أخذ محله فى نهاية القرن التاسع عشر لم تعد أنظمة «المكان الثابت» بذات معنى حيث لم يكن المكان يتسع لاضافة كتب جديدة فى الموضع المناسب فى السياق إلا بعد عملية إعادة ترتيب كاملة لكل المجموعات والرفوف.

وفى سنة ١٨٧٤ عندما أصبح ملفل ديوى أمينا لمكتبة كلية أمهرست أدرك أن

تصنيف مجموعاتها بالمكان الثابت لا قيمة عملية له. وكانت مكتبة المتحف البريطانى فى لندن والمكتبة الأهلية فى باريس تعملان على أنظمة مطورة عن نظام برونيه الذى أشرنا إليه سابقاً. وكانت مكتبة بودلى تستخدم أنظمة مختلفة لأجزاء متفرقة من مجموعاتها لم تتطور ولم تنصهر فى نظام واحد. وكانت مكتبة الكونجرس تعمل بنظام طور كما رأينا عن تصنيف بيكون للمعرفة الذى وضعه فى بداية القرن السابع عشر. وإزاء ذلك رأى ملفل ديوى أن الحاجة ماسة إلى نظام تصنيف ببليوجرافى أكثر فاعلية وكفاءة. ولما لم يكن هناك نظام يمكن اقتباسه، أو الخروج به من تلك الأنظمة فقد قرر ديوى أن يضع نظاما جديداً بنفسه.

ومهما يكن من أمر الجدل الذى ثار حول الأساس الذى بنى ديوى عليه تقسيمه للمعرفة حيث ذكر هو بنفسه فى أكثر من موضع أنه استفاد من جميع التصانيف التى سبقته فلسفية كانت أو ببليوجرافية، وحيث زعم بعض العرب أن ديوى قد بنى تصنيفه على أساس من تصنيف ابن النديم فى الفهرست الذى قسم المعرفة إلى عشر مقالات وكل مقالة إلى فنون؛ مهما يكن من أمر هذا الجدل فإن هناك شبه اجماع على أن ديوى قد بنى خريطته للمعرفة البشرية على أساس تصنيف هاريس الذى وضعه لمكتبة مدرسة سانت لويس العامة سنة ١٨٧٠ . وهو بدوره كما سنرى تفصيلا كان من مدرسة فرنسيس بيكون والخريطة الآتية توضح تلك العلاقات:

بيكون	هاريس	ديوى
التاريخ	العلم	المعارف العامة
	الفلسفة والدين	الفلسفة والدين
	الاجتماع والسياسة	علم الاجتماع
	العلوم الطبيعية	العلوم البحتة
	الفنون النافعة (العلوم التطبيقية)	الفنون النافعة (العلوم التطبيقية)
الشعر	الفن	الفنون الجميلة
	الفنون الجميلة	الآداب
	الشعر	

	القصص	
	المجموعات الأدبية	
الفلسفة	التاريخ	التاريخ
	الجغرافيا والرحلات	التراجم
	التاريخ المدنى	الجغرافيا والرحلات
	الملاحق	
	المجموعات	

إذن بنى ديوى نظامه على أساس نظام هاريس وليس هو بمقلوب بيكون كما شاع. وهذا يفسر لنا الانتقادات الكثيرة التى وجهت للبنية الأساسية للتصنيف العشرى. وعلى سبيل المثال فصل علم الاجتماع عن علم التاريخ وفصل اللغة عن الأدب.

إذن يعتبر تصنيف ديوى العشرى هو أقدم التصانيف الببليوجرافية الحديثة وسوف نستعرضه هنا فى هذه العجالة مع مجموعة التصانيف السائدة ريثما نتناوله بشئ من التفصيل الدقيق باعتباره همنا الأساسى فى هذا البحث. وقد ركزت المصادر على خمسة اعتبرتها السائدة ولكننا سنضيف إليها سادساً، يمثل النصف الثانى من القرن العشرين.

أهم التصانيف الببليوجرافية

١ ـ تصنيف ديوى العشرى

٢ ـ التصنيف الواسع (كتر)

٣ ـ تصنيف مكتبة الكونجرس

٤ ـ التصنيف العشرى العالمى

٥ ـ التصنيف الموضوعى (براون)

٦ ـ تصنيف الشارحة (رانجاناثان)

٧ ـ التصنيف الببليوجرافى (بليس)

٨ ـ التصنيف الدولى (رايدر)

تصنيف ديوى العشرى

وضعه ديوى سنة ١٨٧٣ ونشره مجهّلاً لأول مرة سنة ١٨٧٦ . وهذه الطبعة المجهّلة كانت هى الطبعة الأولى وكانت تقع فى ٤٤ صفحة بما فى ذلك المقدمة والجداول والكشافات ومع هذا الحجم اعتبرها البعض قياساً أنها كبيرة ومفصلة. وكان هذا التصنيف فى تلك الآونة قد جاء فى موعده إذ تواكب مع اتجاه المكتبات العامة الأمريكية إلى الرفوف المفتوحة مما كان يعنى أنها فى حاجة إلى ترتيب موضوعى للكتب على الرفوف لمساعدة القراء على الوصول إلى احتياجاتهم الموضوعية. وكان هذا التصنيف عملياً، سهلا بسيطا وقد أعطى ترقيمه له عالمية خاصة والوعد الذى قطعه ديوى على نفسه فى الطبعة الثانية بتحقيق «تكامل الرقم» أى ألا يدخل عليه تغيير جوهرى يزحزح الموضوعات عن أماكنها الأساسية ومع ذلك فقد أدخلت تعديلات على أماكن الموضوعات من طبعة إلى طبعة كما سنرى فى المعالجة التفصيلة ولكن الوعد بثبات الأساسيات ظل قائما بحيث لم تدخل أية تعديلات تمس الأساس الجوهرى له أو تهدد البنية الأساسية. ولقد اعتمد هذا التصنيف فى الواقع على «السند الفكرى» ولم يكن تصنيفا نظرياً ولذلك سار من قوة إلى قوة ومن نجاح إلى آخر وهو الآن يقترب من طبعته الواحدة والعشرين ربما العام القادم (١٩٩٦) أى بمعدل طبعة كل ست سنوات تقريباً. ولقد امتدحه رانجاناثان فى عرض تاريخى له قائلاً بأن ملفل ديوى (١٨٥١ ـ ١٩٣١) يستحق التهنئة الخالصة على تصنيفه الذى جاء ثمرة فكر خلاق فى الموضوع.

التصنيف الواسع

هذا التصنيف وضعه مكتبى آخر من الولايات المتحدة الأمريكية كان أكبر سنا من ديوى بنحو ١٤ عاماً وهو تشارلز كتر. وقد ظهر تصنيفه بعد تصنيف ديوى بين سنتى ١٨٩١ ـ ١٨٩٣ تحت عنوان التصنيف الواسع. وكان يجنح نحو التصنيف الفلسفى فى تقسيماته أكثر من تصنيف ديوى زاعماً أن نظاماً تقدميا فى ترتيب الموضوعات استخدم فى هذا التصنيف. وجاء ترقيمه نقيا واعتمد فقط على الحروف. وقد اتخذ اسمه (الواسع وإن شئنا الدقة المتوسع) من وجود سبع درجات من التفاصيل قد يطلق البعض عليها سبع تصانيف فى واحد وهى مثل ملخصات ديوى والفارق فى العدد. بحيث

يمكن للمكتبة الواحدة كلما نمت مجموعاتها أن تنتقل من تصنيف أو قل من درجة إلى درجة. أى من التصنيف العريض إلى الأضيق الذى يليه. والفكرة فى حد ذاتها رائعة وفلسفية ولكنها عند التطبيق كانت بالغة الصعوبة أو قل غير عملية. ومن سوء حظ هذا التصنيف أيضا أنه لم تكتمل حلقاته السبعة أبداً. وهو يذكر فى مصادر الموضوع كحلقة تاريخية من حلقات التصنيف ولمكانة كتر فى مجال علم المكتبات ولتأثير هذا التصنيف فى نظامين آخرين جاءا بعده كما سنرى فيما بعد.

تصنيف مكتبة الكونجرس

أعد هذا التصنيف كمشروع جماعى بطبيعة الحال فى مطلع قرننا العشرين ليستخدم مع المجموعات المليونية فى تلك المكتبة العظيمة. وقد استخدم فى عدد من المكتبات الأخرى فى أنحاء متفرقة من العالم: وطنية وجامعية على وجه الخصوص وقليل من المكتبات المتخصصة. ويرجع ذلك إلى قصور تصنيف ديوى بالوفاء باحتياجات المجموعات المليونية أو عميقة التخصص. ولابد من التأكيد هنا على أن هذا التصنيف قد خرج من بطن المجموعات الفعلية فى المكتبة، أى أنه اعتمد على السند الفكرى ولم يكن تصنيفاً نظرياً. وكل قسم ينشر على حدة ويمكن أن يستعمل كذلك على حدة كتصنيف متخصص. ويعتبر تصنيف مكتبة الكونجرس من التصانيف التى تأثرت عن قرب بتصنيف كتر فى كثير من أجزائه الأساسية. وهو من التصانيف العملية جدا التى لا تستند إلى أسس فلسفية عميقة. والترقيم فى هذا التصنيف مختلط يجمع بين الحروف والأرقام. وقد تخالفت مجموعة من العوامل مثل السند الفكرى والتفاصيل الدقيقة والترقيم المختلط والواقعية لتجعل منه أكبر تصنيف حصرى مستخدم الآن.

التصنيف العشرى العالمى

أصول هذا التصنيف أوربية وتوفر المعهد الدولى للببليوجرافيا (الآن المعهد الدولى للتوثيق) على تطويره فى نهاية القرن التاسع عشر، واعتمد كما سنرى بعد على تصنيف ديوى العشرى. وقد نشرت الطبعة الكاملة باللغة الفرنسية سنة ١٩٠٥ . وظهرت منه بعد ذلك طبعات عديدة فى أوقات متفاوتة وبلغات مختلفة ومنها طبعات مختصرة. وكان

الهدف من إعداده وتطويره هو إعادة تشكيل وتطوير تصنيف ديوى ـ بعد استئذانه ـ ليصلح لتصنيف المواد من غير الكتب مثل مقالات الدوريات، براءات الاختراع، المعايير الموحدة، بحوث المؤتمرات وغيرها. ويسمح بقدر كبير مما نطلق عليه الآن مصطلح «الوجوه» بحيث يعكس فى الرقم النهائى: الفترات التاريخية للمعالجة، شكل المعالجة، اللغة،... لقد تطور عن نظام ديوى ولكن بطريقة أكثر تعقيدا وبهذا مهد الطريق لظهور تصنيف الشارحة (تصنيف رانجاناثان) ؛ كما سنرى بعد.

التصنيف الموضوعى

نشر لأول مرة سنة ١٩٠٦ وتوفر على إعداده المكتبى البريطانى اللامع جيمس دف براون كنظام بسيط للمكتبات العامة البريطانية. وقد انتقد هذا النظام لميله نحو التحليل الموضوعى اكثر من جنوحه نحو التركيب الطبقى للموضوعات. ففى محاولة لجمع المعلومات عن موضوع مثل «المال» «السفن»، «الجسم البشرى»، «الكلام» تجاهل براون الفوارق الراسخة التى تقوم بين هذه الموضوعات وموضوعات أخرى مثل «المسكوكات»، أقتصاديات المال فى البحث عن المعلومات. وتلك الفوارق بين «بناء السفن» و «النقل البحرى» عند معالجة موضوع السفن. والفارق الكبير بين مناقشة الجسم الانسانى والتمارين البدنية، وبين الجنازات. وبين الكلام كموضوع اهتمام الخطيب والشخص العادى. كذلك الكشاف احادى المكان كان من نقاط الضعف فى هذا التصنيف إذا قورن بالكشاف النسبى عند ديوى. ومع ذلك ففيه مقدمة رائعة عن التصنيف ونماذج رائعة على التحليل والتركيب وتقسيمات قوية فى مجالات العلوم البحتة والتطبيقية. ولم تأت نهاية هذا التصنيف من نقاط الضعف به وعدم تنقيحه وتحديثه فقط وإنما جاءت أيضاً من قرار الحكم المحلى فى بريطانيا بادماج المكتبات القليلة التى استخدمت هذا النظام فى شبكات أكبر تستخدم تصنيف ديوى، مما قضى نهائيا على تصنيف براون الذى اعترض على التصنيف العشرى بسبب تحيزه الواضح للأمريكانيات.

تصنيف الشارحة (رانجاناثان)

نشر لأول مرة سنة ١٩٣٣ وتوفر عليه العالم الرياضى وعالم المكتبات الهندى س. ر. رانجاناثان (١٨٩٢ ـ ١٩٧٢). ويقوم على بنية جدول واحد أساسى وبعد ذلك يعمل

النظام كلية على أساس الأوجه. وكل قسم فى الجدول الأساسى له عدد من الوجوه (المتغيرة). والنظام الذى ترتب به تلك الوجوه وتركب على بعضها يخضع لأسلوب وجهى محدد ومحكوم بوجهة نظر رانجاناثان فى الفئات الأصلية. ولصعوبة هذا النظام وحاجته إلى فهم عميق وممارسة طويلة فإن استخدامه فى المكتبات قليل وربما لم يخرج خارج حدود الهند. ومع ذلك كان له تأثير كبير وخاصة فيما يتعلق بقضية التحليل والتركيب وقد أضاف إلى نظريات التصنيف الشيء الكثير، وقد استفادت منه الأنظمة التى جاءت بعده وأيضا التى سبقته فى طبعاتها المتجددة وعلى رأسها تصنيف ديوى العشرى.

التصنيف الببليوجرافى

كان هنرى ايفلين بليس (١٨٧٠ ـ ١٩٥٥) يعتقد أن المكتبات فى حاجة إلى نظام تصنيف فلسفى علمى أكثر من تصنيف ديوى العشرى البسيط السلس، حتى يروق لعلماء المعلومات وخبراء التحليل الموضوعى. وقد نشر تصنيفه المتطور جدا بين سنتى ١٩٤٠ ـ ١٩٥٣ . ويتميز هذا التصنيف بنسبية المكان للموضوعات التى تختلف حولها وجهات النظر فى التصنيف، والترقيم القصير والترابط بين جزئيات العلوم البحتة والتطبيقية. وقد استخدم هذا التصنيف أساساً فى المكتبات البريطانية وبعض مكتبات دول الكومنولث. ويتم تنقيحه الآن كتصنيف وجهى مع عدم المساس بالبنية الأساسية والصدفة الخارجية للنظام وقد بدأت عملية التنقيح والتعديل هذه منذ سنة ١٩٦٩ وحتى كتابة هذه السطور لم تنته.

التصنيف الدولى

توفر على إعداد هذا التصنيف المكتبى الأمريكى اللامع فريمونت رايدر ونشر لأول مرة سنة ١٩٦١ فى مجلد واحد. وبسبب كرهه الشديد للتركيب فإنه لم يلق رواجاً ولم يستخدم حتى فى أى من المكتبات الأمريكية رغم أن واضع التصنيف قال فى مقدمته إنه لم يضع هذا التصنيف لينافس به أى تصنيف قائم وإنما وضعه للمكتبات الجديدة التى لم تتبن نظام تصنيف بعد والمكتبات القديمة غير المصنفة التى تريد أن تصنف مجموعاتها بنظام تصنيف جديد. ورغم عدم استخدامه فسوف اتناوله هنا بشيء من التفصيل مع بعض التصانيف الشهيرة ذات الاستخدام وذلك لجرأة الرجل فى وضع مثل هذا النظام

ونشره على نفقته وإضافته نظاما جديدا يمد نظريات التصنيف وتطبيقاته بوجهات نظر حتما يستفاد منها. ونجد أن هذا التصنيف يدخل فى باب التصانيف الحصرية وقد تجنب فيه الكثير جدا من التحليل والتركيب. وقد قسم المعرفة البشرية إلى ٢٦ قسماً وكل منها ينقسم إلى ستة وعشرين أخرى وهكذا كما سنرى تفصيلاً والترقيم فيه نقى بالحروف اللاتينية الكبيرة. ولا يبدو أن هناك مكتبة ترغب فى تطبيقه ولا حتى أساتذة ومنظرى التصنيف قد تناولوه بالنقد والعرض والتحليل. وربما كان هذا التجاهل بالسلب رأيا إيجابيا فى التصنيف فقد استقر فى عالم التصنيف أنك لن تنجح إذا لم تكن «عشريا». ويبدو أنه ليس هناك نية لتطويره أو تحديثه فلم تظهر طبعة أخرى بعد ١٩٦١.

وسوف نتناول هنا بشئ من التفصيل ست تصانيف فقط من الثمانية تاركين التصنيف الموضوعى (براون)، التصنيف الموسع (كتر) لخروجهما مبكراً من سوق التصنيف.

وسوف نتاولها بنفس ترتيبها الزمنى السابق بما فى ذلك تصنيف ديوى لأنه كما قلنا همنا الأول فى هذا البحث.

* * *

أولا: تصنيف ديوى العشرى

كانت الطبعة الأولى من تصنيف ديوى العشرى المتواضعة تتألف من ٤٤ صفحة وقد ظهرت ١٨٧٦. وكان هذا التصنيف قد قدم كرسالة علمية للكلية التى التحق بها سنة ١٨٧٣. وقد نشرت الطبعة الأولى كما أشرنا قبلا مجهلة ولكن تسجيل حق المؤلف كان باسم ديوى أما الطبعة الثانية فقد صدرت ١٨٨٣ (فى رأى كيث دافنسون فى كتابه عن نظرية التصنيف ولكن الأصل أنها نشرت ١٨٨٥) تحت اسمه وظلت الطبعات تتوالى حتى صدرت الطبعة العشرون سنة ١٩٨٩.

والحقيقة أن الطبعات الثلاث عشرة الأولى كانت تمثل تقدما وئيدا فى ظل سياسة ثابتة لأنها تمت تحت اشراف ديوى وهو على قيد الحياة. والحقيقة أن اثنين قد كتبا تاريخ هذا التصنيف كتابة جيدة هما فريمونت رايدر وجون كوماروميى وإن كان هناك كثيرون غيرهما كتبا فى هذا الصدد. وقد نشرت الطبعة العشرون فى أربعة مجلدات

الأول يتضمن المقدمة والجداول المساعدة والثانى والثالث الجداول الرئيسية والرابع الكشاف ودليل الاستخدام لأول مرة لأن هذا الدليل كان ينشر مستقلاً.

لقد جاء تصنيف ديوى فى موعده المناسب حيث كانت المكتبات الأمريكية تتهيأ للتحول من النظام المخزنى إلى النظام المفتوح. لقد كان النظام المخزنى يعتمد على تصنيف صناعى مثل الترتيب بالرقم المسلسل أو الحجم مما لا معنى له. أما النظام المفتوح فإنه كان يتطلب ترتيبا موضوعيا يتجول القراء بين رفوفه ويلتقطون ما يريدون مباشرة منها. وكانت هذه الفرصة مواتية تماما لتصنيف ديوى لكى ينتشر بين المكتبات ويكتسب شعبية واسعة وكانت عاملاً من عوامل نجاحه. وما يزال هذا التصنيف أوسع التصانيف العامة انتشاراً ويستخدم هذا التصنيف فى القارات الست وترجم كما سنرى تفصيلاً إلى أكثر من ثلاثين لغة. وفى مقدمة الطبعة العشرين نجد بعض الأرقام عن استخدام هذا النظام بعضها يقول بأن ٩٥٪ من المكتبات العامة والمدرسية فى الولايات المتحدة تستخدمه، ٢٥٪ من المكتبات الجامعية والكليات فيها تستخدمه، ٢٠٪ من المكتبات المتخصصة هناك تستخدمه. وتكشف هذه الأرقام عن تناقص حقيقى عن نصف قرن مضى فى أرقام ١٩٥١. فقد كانت نسبة المكتبات العامة والمدرسية المستخدمة له ٩٠٪ وكانت نسبة المكتبات الجامعية والكليات ٨٩٪ ونسبة المكتبات المتخصصة ٦٤٪ ويعزى النقص فى قطاع المكتبات الجامعية والمتخصصة إلى التحول لنظام مكتبة الكونجرس والذى يصلح أكثر بها. والزيادة الظاهرة فى نسبة المكتبات المدرسية والعامة ترجع لأن التصنيف العشرى هو أنسب نظام لها.

ومع كل هذا فإن الدراسة التى قام بها رسل سوينى سنة ١٩٩٢ عن استخدام النظام كشفت عن أن أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مكتبة فى ١٣٥ دولة تستخدمه وقد ترجم وعدل إلى أكثر من ثلاثين لغة؛ مما يؤكد أن سيادة النظام ما زالت قائمة وربما يرجع النقص المئوى إلى زيادة عدد المكتبات عموماً فى الفترة من ١٩٥٠ حتى الآن والمكتبات الجديدة بدأت بنظام جديد أصلاً مما قلل النسبة العامة. ولا يقتصر استخدام التصنيف العشرى على المكتبات فقط لتسكن الكتب ولكن يستخدم أيضا فى الببليوجرافيات والفهارس حتى وإن لم تكن الرفوف نفسها مصنفة وكذلك فى حالة الفهرسة المنقولة بكافة أشكالها.

لقد أرست الطبعة الأولى البنية الأساسية للنظام، وهى البنية التى ما زال يتطور بناء عليها. وهذا التصنيف ينظر إلى المعرفة كوحدة واحدة تنقسم إلى تسعة أقسام موضوعية وعاشر عام. تتداعى منطقيا على النحو الآتى:

٠	المعارف العامة
١	الفلسفة وعلم النفس
٢	الديانات
٣	العلوم الاجتماعية
٤	اللغات
٥	العلوم الطبيعية والرياضيات
٦	التكنولوجيا (العلوم التطبيقية)
٧	الفنون
٨	الآداب والبلاغة
٩	الجغرافيا والتاريخ

وكل قسم من هذه الأقسام يفرع بدوره إلى تسع شعب موضوعية إلى جانب الشعبة العامة. مثال ذلك ٣٠٠ العلوم الاجتماعية حيث تسير على النحو الآتى:

٣٠٠	**العلوم الاجتماعية**
٣١٠	الاحصاءات العامة
٣٢٠	العلوم السياسية
٣٣٠	الاقتصاد
٣٤٠	القانون
٣٥٠	الادارة العامة
٣٦٠	الخدمة الاجتماعية
٣٧٠	التربية والتعليم
٣٨٠	التجارة والموصلات
٣٩٠	العادات والتقاليد والفولكلور

وكل شعبة تنقسم إلى فروع تسعة مع فرع عام، وكل فرع ينقسم إلى تسعة أغصان مع غصن عام. وهكذا حتى يصل إلى أصغر جزئية فى المعرفة البشرية ويعكس الترقيم المصاحب هذا التداعى فى التقسيم والتفريع. مثال ذلك:ـ

٣٢٤	العملية السياسية
٣٢٤,٢	الأحزاب السياسية
٣٢٤,٢٢	القيادة السياسية

وحصر الأقسام الرئيسية فى عشرة وحصر كل التفريعات بعد ذلك فى عشرة فقط أدى بالقطع إلى تضييق فى عمليات التقسيم «وحشر» مجالات كبيرة مع بعضها فى قسم واحد أو فى شعبة واحدة ومن بينها المثال الذى سقناه الآن وهو العلوم الاجتماعية كما أدى من جهة ثانية إلى تخصيص أقسام أو شعب لموضوعات صغيرة كما أدى إلى تفتيت لبعض مجالات هى بطبيعتها مرتبطة مثل اللغة والأدب. وكان من نقاط الضعف فيه العلوم البحتة والتطبيقية وكان استخدام ديوى للترقيم العشرى حسنة من حسنات النظام وأحسن ما فيه أنه استخدم الترقيم النقى بالأرقام العربية ونحن نعلم أن أروع ما فى الأرقام العربية هو الصفر الذى يعطى العدد الواحد قيمة عددية متغيرة حسب المنزلة التى ينزلها على عكس الأرقام اللاتينية التى لا تتغير قيمها مهما كانت المنزلة التى تنزلها.

ووضع الترقيم منذ البداية بثلاثة أعداد ووجه بانتقاد شديد لأنه يطيل الرقم بدون مبرر بداية. وعلى سبيل المثال فإن الرقم الأساسى فى الالكترونيات يصل إلى ستة أعداد بينما العدد الأساسى فى مواضع أخرى لا يزيد عن ثلاثة وخاصة فى الديانات التى تقع فى رقم (٢٠٠).

ويحافظ على البنية الأساسية للنظام سياسة «تكامل الأرقام» أو «وحدة الأرقام» التى تقضى بضرورة عدم إدخال أية تعديلات جوهرية على البنية الرئيسية للأرقام وإن كانت هناك تعديلات فإنه يمكن أن تكون «موضوعية» لا تهز البنية وإذا كانت هناك إعادة تسكين ففى الجزئيات فقط دون الكليات. وهذه السياسة طمأنت المكتبات إلى أنها لن تضطر من حين لآخر إلى إعادة التصنيف والترفيف بين طبعة وأخرى وأن هذه العمليات ستبقى دائما فى حدها الأدنى. وقد تمضى عقود دون حاجة إليها.

وهذه التأكيدات من جانب إدارة النظام ساهمت فى استقرار النظام وارتفاع شعبيته بين المكتبات. كما أنها رسخت فى أذهان حتى عامة المستفيدين البنية الأساسية للنظام وتيسير التعامل معه. ويلاحظ فى الطبعات الأخيرة وبسبب الانتقادات الحادة التى وجهت للنظام كثرة التعديلات والتنقيحات الموضعية فيما عرف بجداول فينكس التى نتناولها تفصيلا فيما بعد والتى تقضى بتنقيح جذرى داخل إطار الغصن الواحد أو الفرع الواحد ولا يزيد عدد جداول فينكس فى الطبعة الواحدة عن اثنين. وتشير زيادة عدد صفحات الجداول الرئيسية والجداول المساعدة من نحو ٣٠ صفحة فى الطبعة الأولى إلى أكثر من ألفى صفحة الآن إلى زيادة التوسعات الكبيرة فى النظام ومواكبته لتطور المعرفة البشرية؛ واستيعابه للموضوعات الجديدة.

وتصنيف ديوى العشرى هو فى أصله وأساسه تصنيف حصرى يقوم على حصر كل جزئيات المعرفة البشرية ووضع رقم تصنيف لكل منها ولكن ملفل ديوى مع أول طبعة أضاف إليه لمسات تركيبية وظلت هذه اللمسات تزيد مع مرور الزمن وتعاقب المحررين. بدأ التصنيف بإضافة أرقام الشكل والصورة. والآن هناك سبع جداول مساعدة للتركيب إلى الرقم الأساسى فى الجداول الحصرية. بل إن التركيب أو قل المزج قد يكون أيضا من بين أرقام التصنيف الأساسية والجداول السبعة المساعدة هى:

١ ـ جدول التقسيمات الموحدة (الشكل والصورة) وفيها خلط بين القالب المادى الذى صبت فيه المادة العلمية (شكل خارجى) وبين الفكرة (شكل داخلى).

٢ ـ جدول أرقام التقسيمات المكانية والزمنية والأشخاص.

٣ ـ جدول تقسميات الآداب الفردية، وبما فى ذلك معالجة الأشكال الأدبية والأعمال المجمعة والمؤلفين الأفراد.

٤ ـ جدول تقسيمات اللغات الفردية.

٥ ـ جدول تقسيمات الأجناس والأعراق والجماعات الوطنية.

٦ ـ جدول تقسيمات تحديد لغات النص.

٧ ـ جدول تقسيمات فئات الأشخاص.

ويمكن استخدام الأرقام التركيبية فى الجدولين الأول والثانى مع أى موضوع فى الجداول الرئيسية. أما أرقام الجداول المساعدة الأخرى فتستخدم فقط حين توجد تعليمات بذلك، وهذه التعليمات تكون موجودة فى الجداول الرئيسية التى تضم أرقام الأساس وبعض تلك التعليمات نصادفها يمكن أن تكون:

* تعليمات «أضف إلى» التى تشير إلى استخدام جزء من ترقيم آخر أو كل هذا الترقيم الخاص بأحد الموضوعات فى الجداول الرئيسية إلى رقم الأساس وعلى سبيل المثال رقم ٦٢٣,٨٢ الخاص بأنواع معينة من السفن البحرية تشير التعليمات إلى استخدام جزء منه ومن الأرقام التى تليه لتضاف إلى رقم ٣٥٩,٣٢٥ لتركيب رقم خاص بالرحلات البحرية العسكرية ٣٥٩,٣٢٥٣.

* هناك أرقام شكل موجودة كجزء من الرقم الأساسى على نحو ما نصادفه فى اللغة والأدب والتاريخ وبالتالى لا يجب أن تضاف أو تركب عليها أرقام من الجداول المساعدة مثال ذلك ٤٢٣ قواميس اللغة الانجليزية فى الأصل، ٩٦٢ تاريخ مصر... وغير ذلك من التعليمات التى نصادفها فى الجداول الرئيسية.

ولقد كان الكشاف النسبى فى تصنيف ديوى العشرى مفخرة لهذا التصنيف منذ الطبعة الأولى وكان ديوى نفسه معتزا به. هكذا الكشاف يضع جميع وجوه الموضوع الواحد والتى تبعثرت فى الجداول تحت أرقام مختلفة فى مكان واحد وعلى سبيل المثال من الطبعة الأصلية:

ملابس الفراء	٣٩١
التصنيع التجارى	٦٨٥,٢٤
العادات	٣٩١
الحياكة المنزلية	٦٤٦,٤
أنظر أيضا الملابس	

وأصبح الكشاف اليوم من أهم ملامح أى تصنيف وبدونه لا يستقيم التصنيف. ويتضمن الكشاف إحالات أنظر وأنظر أيضاً. وقد قدمت الطبعة العشرون آليات جديدة للتعامل مع الأعمال متعددة الموضوعات، والأرقام المتداخلة، وما يحسن اختياره، أين تصنف أقسام العمل الواحد وعلى سبيل المثال ما ورد سابقا فى ملابس الفراء.

وهناك قدر كبير من المرونة فى تصنيف ديوى، ففيه التصنيف العريض الذى جاء من واقع التقسيم الطبقى للموضوعات والترقيم المصاحب وهناك أيضا بداخله التصنيف الدقيق المفصل الذى يصل إلى أصغر الجزئيات ويترك للمصنف حرية التحرك بينهما (العريض والدقيق) فيما يراه من تجذير.

وأكثر من هذا تصدر من هذا التصنيف إلى جانب الطبعات العادية طبعات مختصرة للمكتبات الصغيرة. وقد وصلت هذه الطبعات الآن إلى الطبعة الثانية عشرة توأم الطبعة العشرين.

ومما يحسب من ملامح فى هذا التصنيف إتاحة الفرصة للأختيارات فى الجداول الرئيسية أمام كل مكتبة على حدة مثل وضع البليوجرافيات الموضوعية إما مع القسم العام (٠١٦) أو مع موضوعاتها المتخصصة والتراجم المتخصصة كذلك وغيرها كثير. ومما يدخل فى هذا الباب أيضا إتاحة الاختيار أمام «المجالات الوطنية» الدين الوطنى، اللغة الوطنية، الأدب الوطنى الجغرافيا... لإحلال هذه المجالات الوطنية محل المجالات الواردة فى بداية القسم. وذلك للتخفيف مما اتهم به التصنيف من انحيازه «للأمريكانيات».

ومن ملامح الطبعة العشرين كما ألمحنا جميع التعليمات التى تناثرت فى الجداول الرئيسية والمساعدة والكشاف فى «دليل واحد» فى نهاية المجلد الرابع. وهذا الدليل يسير فى ترتيبه حسب ترتيب خطة التصنيف نفسها بحيث يعكس خطوة بخطوة مع الأمثلة التوضيحية تدرج العملية التصنيفية وحسبما جاء فى هذا الدليل فإنه يصلح للمبتدئ أساساً ويفيد منه كذلك الراسخون فى التصنيف. وهو دليل مفيد من جهتين مفيد للمصنف لأنه جمع له كل التعليمات فى مكان واحد مع التصنيف ومفيد لأنه حمل عن كاهل الجداول عبء تلك التعليمات الكثيرة وقد تخففت منها.

لقد مضى على تصنيف ديوى العشرى الآن مائة وعشرون عاماً وينتظر أن تصدر طبعته الواحدة والعشرون سنة ١٩٩٦؛ أى بمعدل طبعة كل ست سنوات. ولقد نما التصنيف فيها نمواً عظيما ورغم أن ديوى قد مات عن الطبعة الثالثة عشرة سنة ١٩٣١ (أعدها للطبع ولم يرها) ولو بعث الرجل من مرقده، لما تعرف على تصنيفه لكثرة ما أدخل عليه من تغييرات وزيادات إنها فضيلة أمريكية أن العمل العظيم النافع لا يموت

بموت صاحبه بل يجد من يغيره ويعدله ويطوره ويظل العمل خالداً متداولاً بين الناس. وليس تصنيف ديوى العلامة الوحيدة على تلك الفضيلة بل هناك أيضا قائمة رؤوس موضوعات سيرز، وببليوجرافية الكتب المرجعية وغيرها من العلامات فى مجالات وتخصصات أخرى.

ولم تكن التوسعات فى الطبعات المختلفة وئيدة بل فى بعض الأحيان كانت تأتى الطبعات طبق الأصل من سابقتها. وقد أرادت الطبعة الخامسة عشرة أن تقنن التوسعات والزيادات فقلصت حجم التصنيف إلى الربع تقريباً مما أساء اساءة بالغة إليه رغم تسميتها بالقياسية واضطر التصنيف العشرى فى الطبعة السادسة عشرة أن يعود إلى سابق عهده من التوسع الكبير. واعتباراً من الطبعة السادسة عشرة وصاعداً بدأ التوسع والزيادة والتنقيح فى كل طبعة لمواكبة نمو المعرفة البشرية وتطورها وتسكين الموضوعات الجديدة وتقليص الموضوعات التى تقادم بها العهد. ومن حين لآخر يختار موضوع من الموضوعات التى تحتاج إلى تطوير شامل ويعاد تشكيله هو وفروعه من جديد فيما يعرف بجداول فينكس أو المراجعات الكاملة.

والمسئولية الفعلية حاليا فى تطوير تصنيف ديوى العشرى تقع على عاتق قسم التصنيف العشرى فى مكتبة الكونجرس والذى يتضمن عمليه إعداد شرائط مارك وبطاقات فهرس مكتبة الكونجرس وإدخال رقم تصنيف ديوى فيها. وهذا يؤكد مرة ثانية أن التنقيحات التى تدخل على التصنيف العشرى إنما تستند إلى «السند الفكرى» الذى يعكسه الانتاج الفكرى المنشور بما فيه من موضوعات جديدة ومعالجة فعلية للمعرفة الانسانية وبالتالى يصمم رقم التصنيف الذى يتلاءم مع تلك الموضوعات ويقدم هذا القسم مقترحاته بالتعديلات والتوسعات إلى لجنة سياسة التحرير فى دار النشر (فورست برس) التى تتوفر على نشر النظام. لأن الناشر هو الذى يقرر أى الأقسام تحتاج إلى جداول فينكس أى مراجعة كاملة؛ وهذه المراجعات الكاملة تعد سلفاً بفترة طويلة وتناقش قبل أن تدخل فى الطبعات الجديدة كما حدث فى موضوع الموسيقى فى الطبعة العشرين، وكما حدث أيضا فى موضوع اعداد البيانات. ويجب أن نلاحظ أنه عندما يراد مراجعة موضوع ما مراجعة شاملة عن طريق جداول فينكس فإن سياسة «تكامل الأرقام» يتم تجاهلها لأن إعادة ترتيب عناصر الموضوع والتوسع فيها يتطلب بالضرورة إعادة النظر فى كل الأرقام.

وهناك مجلة صغيرة غير منتظمة بعنوان «التصنيف العشرى: تعليقات، ملاحظات وقرارات» تحمل مقدما كل الخطوط العريضة عن اتجاهات التغيير والتعديل وتشرح القرارات التى تؤدى إلى ذلك بقصد إخطار المكتبات سلفاً بالتغيير المتوقع. وهذه المجلة أيضا تتلقى أية شكاوى أو أسئلة حول استخدام التصنيف العشرى مما يساعد كثيرا على التغلب عليها.

إن للتنصيف العشرى تاريخ طويل، إدارة على درجة عالية من الكفاءة والعديد من الأنصار فى دول مختلفة. وإن لم يكن هذا التصنيف قد بنى على أسس نظرية كما ينبغى للتصنيف الحديث وذلك لأنه نبع من احتياجات عملية فعلية. وقد صمم كثير من ملامحه لحل مشاكل قائمة أكثر منه صمم توقعا لها. وربما كان تطور التصنيف العشرى على هذا النحو لأن نظرية التصنيف لم تكن قد نظمت على أيامه على نحو ما حدث الآن. وربما تكون هذه النظرية قد تعلمت من المشكلات والحلول والتجربة والخطأ حتى نضجت عبر سنوات التصنيف العشرى نفسه. ولعل البطء فى مواكبة تطور المعرفة واجراء المراجعات والتنقيحات كان من بين وجوه الانتقادات التى وجهت للنظام. ولكى ينعدل الميزان فلابد من القول أيضا بأن المكتبات نفسها تتردد كثيرا فى اجراء تعديلات كبيرة على تصنيف مجموعاتها بسرعة. وعلى الجانب الآخر هناك من يندد بكميات التعديلات وإعادة التسكين وبالتالى إعادة التصنيف للمجموعات فى أوقات متقاربة. وكثيرا ما انتقد بعض المكتبيين الناشر فى اصدار طبعات سريعة منقحة رغبة فى البيع والربح التجارى أكثر من رغبته فى مواكبة المعرفة ذلك أن الطبعة العشرين مثلا صدرت فى نهاية ١٩٨٩ وها هى الطبعة الواحدة والعشرون على وشك الصدور سنة ١٩٩٦. فالنسخة تباع بنحو ٢٠٠ جنيه استرلينى أو ٣٥٠ دولاراً أى ما يقرب من أربعين مليون دولار فى الطبعة الواحدة فى السنوات الأخيرة كحجم مبيعات فى حده الأدنى. وبالتالى فإن بعض المكتبات تفضل البقاء على طبعتها التى بدأت بها ولا تتبنى الطبعات الجديدة ولا تدخل تعديلات على تصنيفها والنتيجة موقف غير مقبول لتلك المكتبات أو لتصنيف ديوى أو لهما معاً ويبقى تصنيف ديوى أكثر التصانيف قبولاً لدى الكثيرين وهو يكتسب قبولاً دوليا سنه بعد أخرى وذلك بسبب الخصائص العظيمة الموجودة فيه مثل امكانيات التسكين وإدخال الموضوعات الجديدة بفضل الترقيم العربى

والتقسيم العشرى؛ التعليمات المحكمة والإرشاد سواء من خلال الجداول الرئيسية والمساعدة والدليل الذى أصبح جزءاً من الطبعة العشرين ورغبة إدارة النظام فى الاستجابة السريعة لاحتياجات المستفيدين من النظام، التاريخ الطويل للنظام وتجاوبه مع نمو المعرفة الانسانية وثباته أمام كل المشاكل التى صادفته. وأيضا المرونة فى الاستجابة لاحتياجات الديانات والجغرافيا واللغات والثقافات الوطنية والسماح لها بتغيير مواقعها إلى الأرقام الأمامية. ومن مميزاته أيضا عالمية وسلاسة الترقيم. كذلك أيضا يسر استخدامه فى الببليوجرافيات والفهرسة المنقولة. والآن أصبح هناك شكل الكترونى لهذا التصنيف يعرف باسم «ديوى الالكترونى» بحيث سجل النظام على الحاسب مع الحفاظ على التداعى الطبقى لأرقام التصنيف والموضوعات. وقد ربطت الأرقام إلى رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس بحد أقصى خمسة رؤوس لكل رقم ويستطيع المصنف أن يسجل الكلمة المفتاحية والقسم الرئيسى لها فيظهر أمامه رقم تصنيف الموضوع. بل وأيضا رؤوس الموضوعات المناسبة فى قائمة مكتبة الكونجرس. والدخول إلى النظام على الحاسب قد يكون بالكلمات الدالة أو بالعبارات، أو برقم التصنيف العشرى كما أن هناك مساعدات من الخط المباشر فى التصنيف. ولكن يجب ان نتذكر أن ديوى الالكترونى لما يزال فى مراحله الأولى ولا نتوقع منه أكثر مما يحتمل فى هذه الآونة. ومن المؤكد أنه ستدخل عليه تطورات كثيرة فى السنوات القليلة القادمة. والتطورات المخطط لها فى المستقبل المنظور تشمل إنشاء قائمة إستناد لإختيار المصطلحات اللازمة للدخول إلى النظام واختيار أرقام التصنيف. ويمكن أن تتضمن أيضا إعطاء قواميس تعريفية وحواشى تفسيرية لارشاد المصنف داخل الطبعات الجديدة من «ديوى الالكترونى» مما يساعد على استعماله.

ومن المتوقع أن يقلل ديوى الالكترونى من التأثير المفاجئ والعنيف للطبعات الجديدة ويخفف العبء على عمليات المراجعة والتنقيح لأنه سيجعلها عملية مستمرة وسريعة وأكثر جاذبية للمكتبات وسوف تنشر جداول «ديوى الالكترونية» سنوياً كاملة مع أحدث التعديلات مما يخفف من عمليات إعادة التصنيف لأنها توزع على عدد من السنين ولا يكاد يحس بها. لأنه فى حالة الطبعات الورقية التى تصدر على فترات طويلة نسبياً تكون كمية التعديلات التى تراكمت كبيرة مما تنوء بها المكتبات غالبا. إننا نتوقع فى الطبعة الواحدة والعشرين مراجعة شاملة منظمة تضع النظام ربما على أساس فلسفى وإطار نظرى

دون اخلال بطبيعة الحال بالبنية الأساسية ومع عدم التضحية بوحدة الأرقام وتكاملها وعدم المساس ببرجماتية النظام. وينتظر فى الطبعة الواحدة والعشرين مراجعة شاملة بجداول فينكس لشعبة الإدارة العامة (٣٥٠) بحيث تخلص من النزعة والصيغة الأمريكية فى الإدارة، وينتظر أيضا مراجعة شاملة لشعبة التربية (٣٧٠) بحيث تحدَّث وتخلص أيضا من التحيز الواضح للنظم الأمريكية والتركيز على التعليم الدينى والكنسى والمدارس أحادية الجنس كما تزداد فى تلك الطبعة عمليات التركيب لتشمل النظام كله.

لقد وجهت للنظام انتقادات عنيفة اتخذت شكل الهجوم المنظم عليه وخاصة المبادئ النظرية التى قام عليها وافتقاره إلى التحليل المنطقى للموضوعات ووضعها الموضوع المناسب فى مجالات شديدة التحديد. لقد انتقد البناء العام للأقسام الرئيسية بشدة لبعض الأخطاء البنيوية مثل الفصل بين اللغات والآداب لقد وصف بليس البناء العام للنظام بأنه «غير فلسفى وغير عملى». ولكن المرء لابد وأن يعترف بصعوبة تغيير البنية الأساسية فى هذه المرحلة من مراحل تطور النظام. وانتقده كل من د. ج. فوسكت لضيق الإطار العام الذى يتحرك فيه وضيق عملية التفريع فى حدود العشرية. كما وصفه شارل مارتل رئيس قسم الفهارس بمكتبة الكونجرس عندما كانت المكتبة تبحث عن تصنيف تعمل به بأنه «نظام لوى ليناسب الترقيم وليس الترقيم ليناسب التصنيف».

إن الأبحاث والدراسات التى جرت مؤخرا تؤكد مع كل الانتقادات أن نظام التصنيف العشرى يركب موجة التفاعل التام بين التصنف والتكنولوجيا مما لم يقدر عليه نظام آخر. ويحدث ذلك إما من خلال تعظيم كفاءة «ديوى الالكترونى» أو من خلال تطوير استخدامه فى فهارس الاتصال المفتوح «أوباك» وقواعد البيانات الالكترونية وشبكات المعلومات العالمية مثل الانترنت. وهناك دراسات ترى تطوير التصنيف العشرى ليكون «مكنزا» يصلح لاسترجاع المعلومات آليا عن طريق تحسين وتطوير الكشاف النسبى والارشادات الموجودة فى الجداول الرئيسية.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أنه بعد شراء مركز مكتبات الخط المباشر لفورست برس ووجود عدة أطراف قوية تظلل هذا النظام مثل لجنة سياسات التحرير ومكتبة الكونجرس ممثلة فى قسم التصنيف العشرى، ما يضمن تطوير النظام إلى الأفضل حسب آلية السوق. ونظراً للعوامل العديدة المساعدة مثل عالمية النظام وعالمية الترقيم والمرونة

والادارة فإن هذا النظام سيستمر فى موقع الصدارة لعقود طويلة قادمة؛ حتى ولو تحولت المكتبات جميعا إلى الآلية.

ونبلور عوامل سيادة النظام فى النقاط الخمس الآتية التى تنسحب على النظام ككل فى جميع طبعاته بصرف النظر عن نواحى القوة والضعف بين طبعة وأخرى.

١ ـ تكامل الأرقام ووحدتها: فليس هناك تغيير جوهرى فى الأرقام الرئيسية بحيث ظل ثمة نوع من الثبات من الطبعة الثانية وحتى الرابعة عشرة. والتغييرات التى تتم بعد ذلك تتم بحسبان وفى إطار عدم الإخلال بالبنية الأساسية. وجداول فينكس لا تحدث ثورة تقلب النظام رأسا على عقب، بل تساعد فى مواكبته لتطور المعرفة البشرية.

٢ ـ القدرة على التفصيل: يحمل النظام قدرة فائقة على التفريع إلى أصغر جزئية فى المعرفة البشرية مما يساعده على تقديم الأرقام الدقيقة وأيضا على استيعاب الموضوعات الجديدة التى تطرأ على الساحة.

٣ ـ الترقيم النقى بالأرقام العربية: الأرقام العربية أرقام عالمية استخدمها ديوى بذكاء شديد، ولم يستخدم معها رموزا أخرى مما حرر الأرقام العربية من قيود الرموز الأخرى فانطلق النظام نحو العالمية التى لم يستطعها نظام آخر. لاحظ على سبيل المثال كيف تعطى ترقيما لاتينيا لموضوع مثل «آلات التصوير والتصوير الفوتوغرافى».

٤ ـ التركيز على الجوانب العملية: مهما اتهم النظام بأنه لا يقوم على أسس فلسفيه نظرية فهو نظام وضع ليستخدم أساساً مع حصيلة الانتاج الفكرى ويعتمد فى قوامه على «السند الفكرى» كما يستخدم فى الببليوجرافيات والفهرسة المنقولة ويواكب التطورات التكنولوجية الحاصلة فى عالم المعلومات.

٥ ـ المراجعة المستمرة والتنقيح: لم يتجمد النظام كسائر النظم بما فيها تصنيف مكتبة الكونجرس بل يصدر طبعات جديدة بمعدل طبعة كل ست سنوات، تحدث النظام وتطوره وتنقيه من الشوائب وتعيد تسكين الموضوعات حين تدعو الضرورة إلى ذلك. وكان إدخال أسلوب جداول فينكس إلى النظام من أهم دعائم المراجعة والتحديث.

وكما ذكرنا هناك معالجة ضافية لتصنيف ديوى العشرى بكامل تفصيلاته بعد هذه المعالجة العامة لأوسع وأشهر أنظمة التصنيف العامة فليرجع إليها للاستزادة والاسترشاد.

ثانيا: تصنيف مكتبة الكونجرس

تعتبر مكتبة الكونجرس هى أكبر وأغنى مكتبة فى العالم وهى مكتبة المكتبات الوطنية أو هى المكتبة الوطنية لكل العالم حيث تحرص على اقتناء جل ما ينشر على الأرض من مصادر معلومات. وقد أنشئت هذه المكتبة سنة ١٨٠٠ لتقديم خدمات المعلومات لأعضاء حكومة الولايات المتحدة فى واشنطون العاصمة. وفى سنة ١٨٧٠ حتم قانون حق المؤلف الايداع فيها وبدون الايداع يهدر حق المؤلف. ويعتبر مدير المكتبة «اينورث راند سبوفورد» فى ذلك الوقت نقطة الانطلاق الحقيقية التى حملت المكتبة نحو القومية والعالمية بدلاً من اقتصارها على أن تكون مكتبة متخصصة فى خدمة الحكومة. ولقد نمت المجموعات فى عهده إلى نحو مليون قطعة، حيث كانت تدخلها أنداك نحو مائة ألف قطعة سنوياً، حتى ضاق بها المكان الذى كانت تحتله فى الكابيتول وهو عدة غرف متصلة وحتى الممرات التى ملئت بالكتب عن آخرها. نقلت المكتبة إلى الموقع الحالى فى مبنى يليق بها سنة ١٨٩٧ ويعتبر المبنى وملاحقه تحفة معمارية يليق بحضارة الشعب الأمريكى. وأطلق على المبنى الأول مبنى توماس جيفرسون. وحتى ذلك الحين كانت المواد ترتب فيها حسب النظام الذى وضعه الرئيس الأمريكى توماس جيفرسون لمجموعته الخاصة التى بيعت للمكتبة بعد حرقها ابان حرب الاستقلال. وكما اشرنا كان هذا النظام قد بنى على تصنيف فرنسيس بيكون للمعرفة وقد تألف من ٤٤ قسماً رئيسياً وفرعياً وداخل كل منها كانت الكتب ترتب على الرفوف بنظام «المكان الثابت» لوضع كل كتاب فى موضع محدد، وكانت الكتب ترتب فى ذلك الموضع هجائيا بأسماء المؤلفين. ولم يفلح هذا النظام فى الوفاء باحتياجات المكتبة حتى قبل أن تنقل إلى المبنى الجديد بسبب العيوب الموجودة فيه. ومع الانتقال إلى مكان جديد أكبر وأكثر اتساعاً كانت الفرصة مهيأة تماماً لاستشراف وضع نظام تصنيف أكثر ملاءمة وجرى البحث عن نظام قائم بالفعل يكون أكثر صلاحية ووفاء باحتياجات المكتبة. وكانت هناك ثلاثة أنظمة يجرى الإختيار من بينها: تصنيف ديوى العشرى؛ تصنيف تشارلز كتر المتوسع وتصنيف اوتو هارتوج المسمى بنظام هالى Halle Schema. لقد رفض تصنيف ديوى العشرى بسبب أساسى وهو أن ديوى نفسه رفض أن يقع نظامه فى يد أخرى تعدله وتنقحه وتطوره بعيدا عن سيطرته، وأن يرى مكتبة الكونجرس تجرى فيه ما تشاء من

تعديلات ليلائم احتياجاتها. وكان نظام هالى غير ملائم بسبب تحيزه للثقافة الألمانية حيث أن واضعه ألمانى. ومن ثم أصبح تصنيف كتر المتوسع بالصدفة هو أساس التصنيف الذى قامت المكتبة بتطويره وتوسيعه وتعديله إلى أبعد مدى، حتى بالنسبة للأقسام الأساسية فيه. ومن هذا المنطق وضعت جداول تبدو جديدة تماما. وقد شكل فريق عمل لهذا الغرض. وداخل هذا الفريق كانت هناك لجان كل منها يعمل على قسم واحد وداخل كل لجنة يقوم كل فرد على جزئية محددة داخل القسم وهذه الجزئية عادة ما تكون موضوع تخصصه أو اهتمامه؛ ولكل مجموعة أفراد يكون هناك «محرر الموضوع» لمراجعة عمل المجموعة المتخصصة. وهذا هو طابع العمل فى تصنيف مكتبة الكونجرس والذى يمتد حتى اليوم على مدى قرن من الزمان تقريباً. وهذا التصنيف من هنا يعتبر مجموعة تصانيف متخصصة داخل تصنيف عام. وكان كل قسم ينشر على حدة مستقلاً عن الأقسام الأخرى له شعبه وفروعها وأغصانها وله تقسيماته الشكلية والجغرافية الخاصة به بل وله أيضا كشافاته الخاصة. وبالتالى يفتقر إلى التوحيد العام لبنيته، كما أنه ليس له كشاف عام. وبما أن كل قسم ينشر على حدة فإن عمليات المراجعة والتنقيح وإعادة الطبع والنشر تتم كذلك منفصلة ولكل على حدة.

ومن نافلة القول أن نذكر بأن النظام يعتمد أساساً على «السند الفكرى» من واقع المجموعات المليونية الشاملة فى المكتبة حيث أعيد تصنيف المجموعات كلها بناءً عليه ويحاول ايجاد مكان على خريطة المعرفة للنمو المستقبلى.

وقد بدأ هذا النظام كنظام لترتيب الكتب على الرفوف وليس كنظام استرجاع المفاهيم الفكرية المجردة وقد صمم خصصياً لمجموعات مكتبة الكونجرس وليس لغيرها. هذان المبدآن هما اللذان حكما تطوير وتطور هذا النظام وقيمته كنظام تصنيف عام. ولكن على اعتبار أن مجموعات هذه المكتبة هى مجموعات عالمية شاملة فإن النظام جاء شاملاً عالمى المعرفة يصلح لكل المكتبات الشاملة وأيضا المكتبات المتخصصة. ولكنه لا يصلح نظاماً لاسترجاع المعلومات خارج إطار الوحدات المادية (كتب ـ مواد سمعية بصرية...) أى هو لا يصلح للتكشيف أو لاعداد الببليوجرافيات كما هو الحال فى تصنيف ديوى العشرى والتصنيف العشرى العالمى.

ورغم أن هذا النظام وضع ليستخدم فقط فى مكتبة الكونجرس ولم يقصد به أن يستخدم فى سواها إلا أنه أصبح يستخدم الآن فى العديد من المكتبات الكبيرة الوطنية والجامعية والمتخصصة سواء داخل الولايات المتحدة وكندا أو خارج أمريكا الشمالية. وقد أجريت دراسة عن استخدامه منذ عشرين عاما سنة ١٩٧٥، اتضح منها أن ٦٢٪ من المكتبات الجامعية فى الولايات المتحدة وكندا تستخدم تصنيف مكتبة الكونجرس وأنه فى خلال الخمسينات والستينيات كان هناك تحول واضح كبير بين المكتبات الأكاديمية من التصنيف العشرى إلى تصنيف مكتبة الكونجرس. وكان ثمة مخاوف من تحول المكتبات العامة الكبيرة أيضا إليه. وقد استقر الوضع فى السنوات الأخيرة ربما بسبب التكاليف العالية لاعادة التصنيف وارتفاع أعباء العمل فى المكتبات فى نهاية قرننا العشرين مما حمل الكثير من المكتبات على وقف محاولات التحول من تصنيف ديوى إلى تصنيف الكونجرس. وربما ترجع شعبية نظام مكتبة الكونجرس إلى الإدارة القوية التى تدعم النظام والامكانيات المالية والبشرية الهائلة التى تسانده وكذلك السرعة فى مواكبة تطور المعرفة البشرية والسرعة المذهلة فى تصنيف الأعمال الواردة بالاضافة إلى الكميات الضخمة من الأعمال التى ترد إلى المكتبة سنويا من جميع أنحاء العالم (حوالى ٣٠٠,٠٠٠ قطعة سنويا). ووضع أرقام التصنيف على بطاقات الفهرسة الخارجة منها وكذلك على أشرطة مارك. وهى جميعا كما نرى عوامل خارجة عن النظام نفسه وليس كخصائص فنية موجودة فيه.

يقول سيرز بأن المخطط العام لهذا التصنيف لم يكن قد اكتمل أو نشر حتى سنة ١٩٠٤ رغم أن قسم حرف z كان قد نشر بالفعل سنة ١٩٠٢ وحتى سنة ١٩٧٠ لم يكن قسم القانون حرف K قد انتهى ولم ينته إلا منذ سنوات قليلة. والآن بعد أن اكتمل النظام وكادت كل تفاصيلة تنشر:-

ينقسم النظام إلى واحد وعشرين قسماً رئيسياً يتفرع كل منها إلى شعب وكل شعبة إلى فروع وكل فرع إلى أغصان لا تتساوى فى العدد وانما كل قسم وكل شعبة على حسب محتواها وما تضمه من جزئيات المعرفة البشرية. فليست هناك حتمية التفريع إلى عدد معين على نحو ما نجده فى تصنيف ديوى. والترقيم هنا مختلط بحروف وأرقام. والأقسام الرئيسية فى النظام تسير على النحو الآتى:

A	العموميات
B - BJ	الفلسفة وعلم النفس
BI - BX	الديانات
C	العلوم المساعدة للتاريخ
D	التاريخ ـ القديم والشرقى
E - F	التاريخ الأمريكى
G	الجغرافيا والانثروبولوجيا (علم الأجناس)
H	العلوم الاجتماعية
J	العلوم السياسية
K ⌐ KD	القانون ـ المملكة المتحدة
K ⌊ KF	القانون ـ الولايات المتحدة
L	التربية
M	الموسيقى
N	الفنون
P	اللغات والآداب
Q	العلوم البحتة
R	الطب
S	الزراعة
T	التكنولوجيا
U	العلوم العسكرية
V	العلوم البحرية
Z	الببليوجرافيا، علم المكتبات والمعلومات

وكل قسم من هذه الأقسام يقسم كما أسلفت إلى شعب وذلك على المثال الآتى:

Q	العلوم
QA	الرياضيات
QB	الفلك
QC	الفيزياء

QD	الكيمياء
QE	الجيولوجيا
QH	علم الأحياء/ علم الخلية
QK	علم النبات
QL	علم الحيوان
QM	علم التشريح البشرى
QP	علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا)
QR	علم البكتريا والأحياء الدقيقة

ومثال آخر من التربية فى حرف L

L	التربية (العامة)
LA	تاريخ التربية
LB	نظرية وتطبيق التربية
LC	جوانب خاصة فى التربية
LD - LG	المعاهد المتخصصة الفردية
LD	ـ فى الولايات المتحدة
LE	ـ فى أمريكا (غير الولايات المتحدة)
LF	ـ فى أوربا
LG	ـ فى آسيا، افريقيا، الاقيانوسة
LH	ـ جرائد ومجلات الكليات والمدارس
LJ	ـ جمعيات ورابطات الطلاب فى الولايات المتحدة
LT	ـ الكتب الدراسية

والشعب تحت الأقسام هى الحد الأقصى لاستخدام الترقيم بالحروف أما التفريع بعد ذلك بالفروع أو الأغصان فإنه يتم بالأرقام بعد الحرف الثانى حيث تستخدم الأرقام رياضيا.

وقد ترك كثير من الشعب (الحرف الثانى) خاليا لاضافة الموضوعات الجديدة.

واستخدام الحروف له ميزة امكانية وضع عدد أكبر من الأقسام الرئيسية (ضعف العدد الموجود فى ديوى) وقد تجنبت المكتبة استخدام عدد من الحروف فى الأقسام الرئيسية مثل حرف I،O، W، X، Y لأنها قد تختلط فى الكتابة مع غيرها ومن جهة ثانية يمكن ادخالها للمستقبل فمن يدرى فقد تتضح الحاجة إليها فيما بعد. ومن المؤكد أنه ليس هناك تساو فى عدد الشعب أو الفروع تحت كل شعبة بل أكثر من هذا ليس هناك توازن فى علاقات الموضوعات مثلا التصوير الفوتوغرافى وضع كشعبة فى التكنولوجيا TR والتجارة مثلا رغم عظم قدرها وضعت كشعبة فى العلوم الاجتماعية HF. وحشرت العلوم الاجتماعية فى قسم واحد كما حدث فى تصنيف ديوى. ومثال آخر على عدم التوازن نجده فى الرياضيات وضعت على مستوى الشعبة فى العلوم البحتة QA (وعدد صفحات تفريعاتها ٣٢ صفحة) بينما جرائد ومجلات المدارس والكليات على نفس مستوى الشعبة فى قسم التربية (صفحة واحدة من التفريعات). وربا كان ذلك راجعا إلى ظروف المكتبة ومجموعاتها منذ قرن من الزمان عندما خطط لهذا التصنيف.

المهم أن كل شعبة بعد ذلك تقسم إلى فروع بأرقام من ١ ـ ٩٩٩٩ مع ترك فراغات للموضوعات التى قد تستجد وعلى سبيل المثال:

HV - 6254	الاعتداء على الحكومة
HV - 6273	الأعمال الوطنية العامة
HV - 6278	اغتيال الحكام

وعندما تتضح الحاجة إلى التفريع من رقم موجود بالفعل فإنه تضاف علامة عشرية بعد الرقم ويوضع رقم فرعى مناسب للموضوع الجديد الذى لم يترك له الفراغ المناسب من قبل وعلى سبيل المثال فى موضوع الإنتحار لم تخصص له سوى الأرقام HV6543 - HV6548 وذلك منذ بداية التصنيف ثم اتضح فى الوقت الحالى أنه يحتاج إلى تفريعات أكثر لتحديد الانتحارات بين الفئات المختلفة من الأشخاص تنبثق من الرقم HV6545 وذلك على النحو الآتى:

HV - 6545	الانتحار ١٨٠١ ـ ٠
HV - 6545.2	ـ كبار السن
HV - 6545.3	ـ الأطفال

وتقدم عادة مع جداول كل قسم رئيس قوائم التفريعات أو التركيبات الموحدة مثل تقسيمات الشكل والصورة، التقسيمات الجغرافية، التقسيمات الزمانية، الموضوعات الخاصة، تقسيمات المؤلفين (قاصرة على حرف B الفلسفة و P الأدب). وقوائم التفريعات هذه تأتى عادة فى نهاية كل قسم وقبل الكشاف مباشرة. وتستخدم كما هو الحال فى تصنيف ديوى فى أغراض التفريع بالشكل أو المكان أو المزج بين أكثر من تفريع على رقم الأساس. والقوائم الموحدة هذه تناسب كل قسم على حدة بصفة عامة وعلى سبيل المثال قوائم قسم التربية L التى تقدم ترقيمات يمكن ان تضاف على المؤسسات الأمريكية والبريطانية وغيرها حسب الارشادات الموجودة. وهنا لو أراد شخص ما أن يضيف رقما خاصاً بجامعة لندن سيجد فسحة من الأرقام تمتد بين 419 - LF400 ثم ارشادات تطلب منه العودة إلى القائمة رقم ٢ من قوائم التفريعات ليجد الرقم المناسب وهناك يستطيع استقاء الرقم الخاص بالتاريخ الباكر لجامعة لندن وهو LF 412. وربما كان ذلك هو النموذج الوحيد على عمليات التركيب فى قسم التربية بتصنيف مكتبة الكونجرس.

ورغم أن عملية التصنيف هنا عملية سهلة إلا أن ما يعقدها فعلا هو استخدام أرقام كثر مع رقم التصنيف وذلك لتمييز كتاب عن آخر داخل الموضوع الواحد فى نفس رقم التصنيف. وأرقام كتر هى أساساً وسيلة لتقديم ترتيب هجائى على الرفوف ولكنها باضافتها إلى رقم التصنيف اكتسبت معنى موضوعيا لم توضع أصلاً له. وفى تصنيف مكتبة الكونجرس تستخدم هذه الأرقام فى أوضاع ومناسبات مختلفة فهى تستخدم كترتيب هجائى لموضوع معين فى الجداول وعلى سبيل المثال فى موضوع «التدريب اليدوى فى التعليم الابتدائى نجد ارشادات فى الجداول بالترتيب الهجائى لأنواع التدريب اليدوى باستخدام أرقام كتر للتعبير عن الموضوع. ومثال آخر على الاستخدام الهجائى للموضوعات النهائية للمجموعات التى تظهر فى فرع «الجريمة» تحت رقم HV8097 حيث يمكن استخدام أرقام كتر لتحديد البحث والتحرى عن أنواع معينة من الجرائم على النحو الآتى:

Arson	حرق الممتلكات	HV8079.A7
Assassination	الاغتيال	HV8079.A74
Automobile theft	سرقة السيارات	HV8079.A97
Bombing	التفجير	HV8079.B62

فهنا استخدمت أرقام كتر لترتيب موضوعات التصنيف ترتيباً هجائيا. وقد ينظر البعض إلى الترتيب الهجائى للموضوعات نظرة عملية على أنه يسهل البحث حسب الحروف ولكن البعض يدين ذلك لأننا فى مقام تصنيف يجب أن يتداعى منطقيا وهذا الترتيب الهجائى يفصل بين الأنواع المتجانسة بين الجرائم فسرقة السيارات انفصلت عن السرقة العامة Robbery والقتل بالسم انفصل عن الاغتيال وهكذا...

كما تستخدم أرقام كتر أحيانا لتقديم الشكل والصورة أو التقسيمات الزمنية أو التقسيمات المكانية بل وأحيانا تقسيمات موضوعية فى الجداول الرئيسية. ويصبح الموقف شديد التعقيد عندما يضيف المصنف إلى ذلك رقم الكتاب (إلى رقم التصنيف الذى فيه أيضا رقم كتر) ليحدد المؤلف ورقماً آخر لتحديد الطبعة عندما يكون للكتاب أكثر من طبعة على نفس الرف وتاريخ تلك الطبعة وعلى سبيل المثال كتاب فى «نظرية التربية وتطبيقاتها» الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ للمؤلف أندرسون، رقم المؤلف A53 وسنة ١٩٧٥ والطبعة الثانية من العمل ورقم التصنيف للموضوع LB1599 وبالتالى فإن رقم الطلب لهذا الكتاب هو LB1599. K6. A53 1975 وتحليل هذا الرقم يسير على النحو الآتى:

قسم رئيسى	التربية	L
شعبة	النظرية والتطبيق	LB
فرع	أنواع التدريبات اليدوية	LB1599
رقم موضوع من كتر	استعمال السكين	LB 1599. K6
رقم كتر للمؤلف	المؤلف أندرسون	LB 1599. K6A53
تاريخ الطبعة الثانية	طبعة تالية	LB 1599. K6A53 1975

كذلك يستخدم رقم كتر لتحديد أسماء الأماكن وعندما تكون هناك تعليمات «قسم

بالمنطقة أو الدولة من حرف A - Z» حينئذ يستخدم رقم كتر لاسم المنطقة أو الدولة وبالتالى ينتج لدينا ترتيب هجائى باسماء الأماكن وعلى سبيل المثال:

الحبشة	A2	Abyssinia
افغانستان	A3	Afghanistan
الجزائر	A4	ALgeria
الأرجنتين	A6	Argentina

ومن الواضح أن استخدام أرقام كتر للدلالة الموضوعية وبدون مبرر قوى يفسد السياق كما يبدو التعسف واضحاً فى استخدامها فى الترتيب الهجائى لأسماء الأماكن ولا يعكس المدخل الطبيعى إلى الأماكن من جانب القراء.

لقد امتدح «ميتكالف» طريقة أرقام كتر فى ترتيب الموضوعات هجائيا لأنه من الصعب فى نظره وصول القراء فى مثل هذه الحالات إلى الموضوعات المرتبة ترتيباً منطقيا منهجياً إلا بقراءة كل الشعبة أو الفرع وتدرجاتهما. ولكن كما أسلفنا يفقد التصنيف معناه وخصائصه بالترتيب الهجائى للموضوعات بالنسبة للقارئ. وأكثر من هذا فإن التقسيم المنطقى للموضوعات مرة ثم الترتيب الهجائى لموضوعات أخرى مرة ثانية يكشف عن عدم اتساق. بل ربما نصادف الطريقتين لنفس الموضوعات فى الجداول الرئيسية كما هو الحال فى موضوع الجريمة الذى ضربنا به المثل السابق فقد رتبت الجرائم هجائياً كما رأينا وفى سياق آخر رتبت حسب أنواعها وحسب الطريقة التى يتناولها بها المحققون. وعدم الاتساق هذا يتسبب فى ازعاج القارئ والمصنف على السواء. ويشير البعض إلى نقطة أكثر أهمية فى هذا التصنيف وهى أن بعض فروع المعرفة قد صنف موضوعيا ولكن هذا التصنيف لم يأت منطقيا منهجياً وكان الترتيب الهجائى لجزئياته الموضوعية أكثر فاعلية وفائدة للقراء.

ولابد من التذكير دائما بأن تصنيف مكتبة الكونجرس هو فى حقيقة أمره تصنيف حصرى إلى أبعد حد وكمية التركيب فيه أقل بكثير من أى تصنيف آخر عام. وهو لا يستخدم أية رموز تركيبية حتى من خلال تركيب أرقام الشكل أو المكان وغيرهما. ولا

هو حتى يستخدم تعليمات «قسم مثل» التى ترشد إلى تحليل وتركيب رقم جديد على غرار أرقام قائمة فى مكان آخر من الجداول. وبدلاً من ذلك نجد قوائم طويلة بالتقسيمات فى كل مرة تحت كل لغة، تحت كل أدب، تحت كل مكان...

وفى غياب توجيهات «قسّم مثل» تصبح مثل تلك القوائم ضرورة ولو أنها تتسبب فى تكرار كثير مما تتضخم معه القوائم والجداول الرئيسية. وينظر البعض إلى تجنب تصنيف مكتبة الكونجرس تقديم جداول مساعدة عامة بالتقسيمات الموحدة والمكانية على أنه ميزة ونقيصة أيضاً فهو ميزة لأن كل قسم فى هذا التصنيف يقوم بذاته وله خصوصياته وأعد على استقلال وبالتالى له التقسيمات الشكلية والجغرافية والزمنية والموضوعية الخاصة به والتى تعكس طبيعته دون سائر الأقسام ولن تستعمل إلا فيه بالكيفية التى تقتضيها ظروف هذا القسم. وهذه الجداول المساعدة الخاصة فى كل قسم تؤمن وجود تعليمات مستفيضة ومنهجيات لاضرورة لاقحامها فى الجداول الرئيسية وبالتالى يصبح استخدام القوائم المساعدة فى كل قسم سهلاً بسيطا لأنه قاصر على هذا القسم الواحد ورموزه الخاصة. وعلى الجانب الآخر قد يعتبر ذلك الأمر نقيصة فى هذا التصنيف حيث تتعدد الجداول المساعدة واحداً وعشرين مرة مع احتمالات التكرار الكثيرة بينها وانخفاض أو انعدام الوسائل المساعدة على التذكر كالتى توجد فى تصنيف ديوى والتى تنسحب على التصنيف كله من أوله إلى آخره. كما أن تكرار الجداول المساعدة تحت كل قسم معناه أنه ليس لدى المصنف بهذا التصنيف مقياس موحد يمارس على أساسه العمل؛ حتى فى حالة الجداول المساعدة العامة نجد أن جدول التاريخ على سبيل المثال مستفيض جداً وشديد التفصيل مع وجود هذه التفاصيل التاريخية الزمنية فى كثير من المواضع بالجداول الأم.

وفى تصنيف مكتبة الكونجرس لا يمكننا الحديث عن «بناء الرقم» كما هو الحال فى تصنيف ديوى اللهم إلا فى مواضع قليلة جدا وتختلف عملية التركيب النادرة من قسم إلى قسم. وحتى حين تتكرر نفس الموضوعات فى مواضع مختلفة من الجداول الرئيسية فإن أرقام التصنيف تتفاوت تفاوتا بينا وبالتالى لا تساعد المصنف على تذكر أرقام التصنيف. وفى بعض الأحيان تقدم الجداول المساعدة عدداً من الاختيارات تحت كل موضوع تختار منها لتركيب الرقم على رقم الأساس. وعلى سبيل المثال فى موضوع

التربية يوجد جدول مساعد لتركيب اسماء المؤسسات الأمريكية وقد أعطى فيه أربعة احتمالات للاختيار من بينها وسوف ننقل هنا تلك الإختيارات بنصها:

I	II	III	IV	
X17	O	O	O	الإشهاروالتأسيس
X173	0.3	0.3	0.3	الشعار
X199	5.8	6.5	6.5	الادارةوالتنظيم
X2D	9	10	11	متطلبات القبول والتسجيل

وتطبيقا لهذا فإن مدرسة نيقولاس فى بافلو نيويورك تستخدم القائمة الرابعة وجامعة نوتردام فى انديانا تستخدم القائمة الثانية LD4100 - 4119.

لقد كان ترقيم تصنيف مكتبة الكونجرس منذ بدايته ترقيما مختلطا يمزج بين الحروف اللاتينية الكبيرة والأرقام العربية وكما رأينا قد تتبع بأرقام كتر وهى الأخرى مزيج من الحروف والأرقام. وعندما بدأ تصميم النظام كان سبوفورد (مدير المكتبة حينئذ) يميل إلى أن تكون الأرقام أحادية وليست عشرية، وتتتابع الأرقام لتسكين الموضوعات مع ترك فراغات فى الترقيم للموضوعات التى قد تستجد فى المستقبل؛ بحيث توضع فى مكانها الملائم والذى حدث بعد ذلك أن الموضوعات تمددت وتمددت أرقامها وزادت عن الأرقام الأحادية المقدرة بداية وكان لابد من إدخال التقسيم العشرى بعدها فى كثير من المواضع مما ضاعف من مشاكل صف المداخل المصنفة. ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن ترقيمات التصنيف هنا لا تعتبر بالضرورة عن المحتوى الموضوعى للكتب ولا تحاول أن تعكس طبقية العلاقات بين الموضوعات. ولذلك فإنها لا تقدم لغة رمزية يمكن القول معها بأن رمزاً معينا يدل على محتوى موضوعى بذاته كما هو الحال فى تصنيف ديوى بل كل ما يقدمه تصنيف مكتبة الكونجرس هو رمز لتسكين الكتب على الرفوف واسترجاعها منها. وهذا معناه بالضبط هو أن الترقيم لا يعكس بأى حال بنية النظام ومن الصعوبة بمكان التقاط الطبيعة او العلاقات الهرمية بين موضوعات المعرفة من الجداول الرئيسية. كذلك فإن الافتقار إلى الملخصات المتدرجة على نحو ما نجده فى تصنيف ديوى تجعل من الصعب جداً التجول فى الجداول دون الرجوع المستمر إلى الكشافات.

وثمة انتقاد عام آخر يوجه إلى ترقيم تصنيف مكتبة الكونجرس وهو «طول الترقيم» وهذا حق ولكن فى حالة الموضوعات الدقيقة، وهذ ما يحدث أيضا فى حالة التصنيف العشرى وقد ينظر البعض إلى ذلك الأمر على أنه نقطة قوة وليست نقطة ضعف حيث يمكن الوصول فى التصنيف إلى أدق جزئية فى المعرفة البشرية فى بعض المجالات. وهذا التفصيل فى الرقم يختلف حتما من مجال إلى مجال. ولكن بعض المجالات قد فصلت تفصيلاً بالغ الاستفاضة بينما مجالات أخرى لم تنل حظها من تلك الاستفاضة فى التفصيل وكانت أولى بها مثل العلوم الاجتماعية: الاقتصاد، السياسة، وهناك مثال رائع فى موضوع «الجريمة» حيث فصلت «العقوبات الرأسمالية» القديمة تفصيلاً شديداً بينما لم تحظ العقوبات الرأسمالية الجديدة إلا برقم شديد العمومية.

ومن المعروف أنه ليس هناك كشاف عام واحد لكل تصنيف مكتبة الكونجرس. ولكن هناك كشاف خاص مع كل قسم على حدة. وهذه الكشافات الفردية مفصلة إلى أبعد حد وعلى سبيل المثال فإن كشاف شعبة الإقتصاد H - HJ يقع فى ٨٥ صفحة ويضم أكثر من ستة آلاف مدخل. وهذه الكشافات نسبية تجمع كل وجوه الموضوع الواحد تحت الموضوع، تلك الوجوه التى تتبعثر تحت أرقام متعددة داخل الجداول ولكن فى القسم أو الشعبة الواحدة. وعلى سبيل المثال لو أن شخصاً أراد أن يبحث فى موضوع «دور الوالدين» يجد أن كشاف علم الاجتماع HM - MX فى هذه الجزئية يسير على النحو الآتى:

الوالدان والأبناء	HQ 755.85
حقوق الوالدين	HV9086
الوالدان	HQ755.7+
آباء الأبناء المعوقين	HQ759.913

آبـاء المرهقين أنظر المراهقون، آباء

ومع ذلك فإن ثمة تكراراً نجده أيضاً للموضوع فى كشاف (ومن ثم قسم) التربية، بل وأيضا نجد جانبا من هذا التكرار فى كشاف (ومن ثم شعبة) الاقتصاد، لأنه كما قدمنا هناك تكرار فى الجداول الرئيسية فى بعض الموضوعات. والنموذج الأتى يكشف عما ذهبنا إليه من التربية والاقتصاد.

فى كشاف التربية "L" حول نفس الجزئية نجد:

* مشاركة الوالدين (فى العملية التربوية) LB 1140.35.P37

* جمعيات الوالدين والمعلمين LC 230 +

* الوالدان، التعليم عن طريق LC 40

بينما فى كشف الاقتصاد H - HJ نجد حول نفس الجزئية:

رحيل الوالدين HD 6065 +

وتحاول الجداول الرئيسية تعويض بعثرة الوجوه المختلفة للموضوع الواحد باستخدام احالات أنظر أيضا الرابطة، وهو نفس الدور الذى قد يقوم به الكشاف أحيانا باستخدام احالة أنظر وأنظر أيضاً. ومن أمثلة الاحالات الرابطة فى الجداول:

* العلاقة بين الوالدين والأبناء HQ 755.85

أنظر أيضا رقم BF 723. P25 للجوانب النفسية

لقد جرت محاولات عدة لجمع الكشافات جميعا فى كشاف واحد قام باحداها اتحاد المكتبات الكندية والثانية توفرت عليها نانسى أولسون فى خمسة عشر مجلداً وهو عمل رائع. وظهر سنة ١٩٩٢ أول دليل لاستخدام تصنيف مكتبة الكونجرس على غرار دليل تصنيف ديوى العشرى. يغطى المبادئ الأساسية ويحلل المناطق الساخنة ذات المشاكل فيه والأرقام البديلة. ومن المؤكد أنه سيضع الأساس للممارسة الموحدة بين المصنفين بهذا النظام. ويتعجب البعض كيف عاش التصنيف بدون هذا الدليل فترة طويلة والإجابة بطبيعة الحال هى وجود أدلة غير رسمية وتحليلات دراسية وعلمية كانت تهدى من يريد الدخول إليه.

ولعله من نافلة القول الإشارة إلى أن قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس والتى تضع أرقام التصنيف إلى جانب رؤوس الموضوعات المرتبة هجائياً عملت لنحو قرن من الزمان ككشاف عام لهذا التصنيف إلى حد كبير فقد نبتت مع التصنيف فى وقت واحد تقريباً وظلت تواكبه حتى يومنا هذا. ولكن مع الكشاف المستفيض الذى أعدته نانسى أولسون تصبح قائمة رؤوس الموضوعات بأرقامها أداة للمكتبات التى لاتقتنى ذلك الكشاف الكبير.

ولعل من نقاط القوة الأساسية فى تصنيف مكتبة الكونجرس أن واضعه ومستخدمه هو نفس الشخص. وهذا التصنيف رمز جيد للتصانيف البراجماتية التى تعتمد اعتماداً مطلقا على «السند الفكرى» وبالتالى يجد حلا لأية مشكلة على الطبيعة والسند الفكرى هذا هو أكبر مجموعة مقتنيات فى العالم تصل اليوم إلى أكثر من مائة وعشرة ملايين قطعة حتما تتمثل فيها جميع قضايا ومشاكل التصنيف الببليوجرافى. ويدعم هذا التصنيف جهاز إدارى وفنى قوى للغاية ـ أقوى جهاز فى العالم ـ كما يدعمه رصيد مالى ضخم يظهر بسخاء عند الحاجة إليه. ومن مزايا هذا التصنيف امكانية التفصيل والتعميق فى جزئيات المعرفة البشرية والمدخل العلمى ربما أكثر مما نصادفه عند التصنيف العشرى. ورغم أن هذا التصنيف حصرى بمعنى الكلمة إلا أنه يفى بمتطلبات جميع التخصصات وبعمق أكثر من أى نظام عام آخر حتى أكثرها تحليلية تركيبية.

ولكن على الجانب الآخر لو قارناه بتصنيف الشارحة (رانجاناثان) أو التصنيف العشرى العالمى فإننا سنجد أنه يفتقر إلى الفلسفة النظرية والإطار الفكرى الذى يتحرك فيه وهو نفس الإتهام الذى وجه لتصنيف ديوى؛ مما أفقده المنطقية والمنهجية فى التقسيم وتداعى الموضوعات على النحو الذى عرضنا له سابقاً. ولكن كثيرا من مستخدمى النظام ومؤيديه يرون أنه أكثر عملية وملاءمة من أى نظام قام على أسس فلسفية منهجية. وإلى جانب الإفتقار إلى الأسس النظرية فإن به بعض جوانب الضعف العملية أو التطبيقية من بينها الإفتقار إلى الإتساق والتطبيق الكلى الفوقى للأسس كما سبق وأن عرضنا له من قبل. كما تفتقر الجداول إلى الإرشادات والتوجيهات اللازمة للمصنفين ـ وهى الغلطة التى تم تداركها بعد مائة سنة باصدار دليل رسمى للاستخدام. وبطبيعة الحال يصعب إعادة النظر الآن فى البنية الفوقية والبنية التحتية للنظام الآن لأن ذلك يتطلب مراجعة شاملة وتنقيحا كاملاً، وذلك أن هذا التصنيف لم تكتمل أركانه إلا منذ سنوات قليلة ومازال فى طور التشكل النهائى.

ويطالعنا دارسو هذا النظام برأى غريب هو أن افتقار النظام إلى البناء المنطقى المنهجى هو فى الواقع نقطة إيجابية لأن افتقاره إلى التماسك والصرامة المنهجية سوف يسمح فى المستقبل بقدر كبير من إعادة البناء عندما يتغير هيكل المعرفة البشرية نفسه. وربما يكون ذلك الدفاع عزاءً مريحاً ولكنه ليس واقعياً. لأن المعرفة البشرية هى دائما فى تطور مستمر

ولاتقف عند خريطة معينة حتى الكرة الأرضية نفسها تتغير وليس من المعقول أن نضع خريطة للمعرفة لاتعكس واقعها وعلاقتها وترابطاتها لمجرد أنها سوف تتغير مع مرور الوقت. إننا يجب أن نعترف بأن المدى الزمنى الطويل (قرن كامل) والأيدى الكثيرة وضخامة التصنيف كانت كلها عوامل تكمن وراء الإفتقار إلى البناء المنهجى له.

وثمة نقطة أخرى تتصل بالتطبيق العملى وهى إفتقار هذا التصنيف إلى آلية تسمح بمرونة النزول إلى الأعماق خطوة بعد أخرى على نحو ما نصادفه فى التصنيف العشرى فليس هناك ماعرف بالتجذير، مما يسمح للمصنف بالإختيار بين الرقم الواسع والرقم الضيق. وبالتالى يكون مفيداً للمكتبات الصغيرة والمتوسطة لأنه بهذا الأسلوب لايصلح للإستخدام إلا فى المكتبات الكبيرة فقط وبالتالى لاتفكر المكتبات المدرسية والعامة فى استخدامه اللهم إلا فى حالة المكتبات العامة الضخمة مثل مكتبة نيويورك العامة أو بوسطن العامة التى تتراوح مجموعاتها بين ١٠ و ٢٠ مليون قطعة!! وكانت هناك محاولات محدودة لإصدار طبعات مختصرة مثلما حدث فى مجال الموسيقى أو تصنيف كتب الأطفال.

ومن الواضح أن تصنيف مكتبة الكونجرس أقل إنتشاراً من تصنيف ديوى على المستوى الدولى خارج الولايات المتحدة. رغم أنه يغطى الإنتاج الفكرى الدولى بأسره حسبما تقتنى المكتبة الأم فى الولايات المتحدة. ولكن الراسخين فى تصنيف مكتبة الكونجرس يرون فيه أيضاً نوعا من الإنحياز إلى الأمريكانيات من جهة لأن التصنيف بدأ وضعه فى نهاية القرن التاسع عشر ولم تكن المكتبة قد اتخذت صفتها الدولية على مانحو مايحدث اليوم وذلك بدءاً من النصف الثانى من القرن العشرين. ومن جهة ثانية أن مكتبة الكونجرس هى المكتبة الوطنية للولايات المتحدة وبالتالى تعكس بنية العلوم الإجتماعية، والتاريخ واللغة والقانون والإدارة والاهتمامات الثقافية للولايات؛ ولابد للتصنيف وبطريقة تلقائية لاتفكير فيها أن يعكس ذلك على خريطته. والترقيم مختلط ومعقد ويبدأ بحروف لاتينية وبالتالى يكون قد حدد استخدامه داخل دول ذلك الحرف اللاتينى على عكس ديوى الذى اختار لتصنيفه ترقيما نقيا بأرقام عالمية دولية هى الأرقام العربية. ومما زاد فى تعقيده استخدام أرقام كتر التى لاتلقى قبولا كبيرا فى الخارج لأنها أيضا فيها حروف لاتينية. والفرصة الدولية فى المستقبل محدودة للغاية أمام تصنيف مكتبة الكونجرس إلا إذا

قدمت منحة للمكتبات لاستخدام هذا النظام على نحو ما حدث فى مكتبة جامعة القاهرة عندما قدمت منحة لها وهى الآن تستخدمه منذ سنة ١٩٧٥ .

ورغم أن ميكنة تصنيف ديوى العشرى كما أشرنا قد قطعت شوطاً كبيراً وتكشف عن قابلية التطور مع التكنولوجيا، إلا أن ميكنة تصنيف مكتبة الكونجرس يعانى من مشاكل عديدة بعضها يتأتى من الأخطاء الموجودة فى النظام نفسه والتى كشفنا عنها فيما سبق ومنها افتقار التصنيف إلى الأساس الفلسفى النظرى العام وليس هناك توحيد فى النظام أى أنه لايمثل كلا متكاملاً كما هو الحال فى تصنيف ديوى؛ كما يفتقر إلى الإتساق فى التفريع والترميز بل وفى المصطلحات المستخدمة. وتعقد شبكة احالة أنظر فيه بالجداول الرئيسية والكشاف وعدم وجود كشاف واحد نابع من التصنيف نفسه بصرف النظر عن كشاف نانسى أولسون. والمشكلة الأكبر التى تواجه الميكنة تتأتى من أن الترقيم لايعكس طبقية وعلاقات الموضوعات وبالتالى لايمكن التجذير وهو أمر بالتالى لاتقبله الميكنة. وهناك الآن فريق من مكتبة الكونجرس يعكف على دراسة السبيل إلى ميكنة نظام تصنيف مكتبة الكونجرس ووضعه على أشرطة مارك على شكل جداول تصنيف وتوسيع نطاق استخدامه، ومكتبة الكونجرس لاتحب أن تترك هذه الساحة لمنافسيها.

وختاماً وتلخيصا فإنه رغم افتقار تصنيف مكتبة الكونجرس إلى الأسس النظرية الفلسفية فإنه نظام عملى يستند إلى السند الفكرى ويجد فيه المصنف بغيته. كما أنه يسهل استخدامه ولايحتاج إلى مجهود ذهنى كبير لاستيعابه. وهو يحدّث بصفة مستمرة ويضاف إليه أرقام الموضوعات الجديدة أولاً بأول لأنه يواكب المعرفة البشرية فى مسيرتها بحكم المجموعات التى يعمل من خلالها. وسيبقى هذا التصنيف مفيداً للغاية للمكتبات الكبيرة والمتخصصة لأن المعالجة المفصلة لجزئيات المعرفة البشرية هى من نقاط القوة فيه. ولايبدو أن استخدامه سوف يتقلص على الأقل داخل الولايات المتحدة ودول الحرف اللاتينى بل يمكن أن يتوسع، نرى ذلك فى تحول كثير من المكتبات الجامعية والمتخصصة إلى استخدامه. وعلى الجانب الآخر فإن افتقار النظام إلى منهجية تداعى الموضوعات ومنطقية العلاقات، والإفتقار إلى الإتساق ستبقى من أخطر عيوبه. وربما لاتكون البنية المنطقية للنظام بذات أهمية لمكتبة مغلقة الرفوف مثل مكتبة الكونجرس ولكنها بذات أهمية بالغة للمكتبات الجامعية المفتوحة الرفوف. كما انعكست تلك البنية

غير المنطقية فى عدم امكانية استخدام النظام كوسيلة أو كنظام لاسترجاع المعلومات سواء فى المطبوعات أو الأنظمة الآلية فلم يستخدم فى أى من الببليوجرافيات حتى الآن كما استخدم التصنيف العشرى.

* * *

ثالثا: التصنيف العشرى العالمى

ربما كان هذا التصنيف هو الوحيد بين التصانيف الثلاثة الأوسع انتشاراً الذى يصلح لاسترجاع المعلومات موضوعياً بالاضافة إلى صلاحيته لترتيب الكتب على الرفوف. وهو كذلك أكثرها تركيبية وتحليلية. وتتخذ الاجراءات للتوسع فى الاتجاه التحليلى التركيبى فى المستقبل.

ويشير تاريخ هذا التصنيف إلى أنه بنى على تصنيف ديوى سنة ١٨٩٥ بعد استئذانه وموافقته، حين قام بول اوتليه وهنرى لافونتين بتأسيس المعهد الدولى للببليوجرافيا (للتوثيق فيما بعد) بقصد إعداد ببليوجرافية عالمية شاملة لكل الانتاج الفكرى بما فى ذلك مقالات الدوريات. وكان الدافع إلى تطوير هذا التصنيف هو تحقيق الضبط الببليوجرافى العالمى بأدق تفاصيله الموضوعية وبأوسع درجة من الشمول. وهذا التصنيف هو فى الأساس نظام ببليوجرافى يهدف إلى تكشيف ووصف محتويات الوثائق أكثر منه نظاما لترتيب الكتب على الرفوف وإن كان يصلح لهذه الأخيرة أيضاً ولكن فى المقام الثانى. ولذلك بنى وصمم على أساس تنظيم واسترجاع المعلومات من كل أنواع الإنتاج الفكرى وخاصة الأنواع غير العادية مثل النشرات، التقارير، مقالات الدوريات والتى تتطلب نوعا من التحليل الموضوعى الدقيق لمحتوياتها. وقد لازمت تلك الملامح هذا التصنيف العشرى العالمى خلال رحلة تطوره وخلال تأثيره الخلاق على تصنيف المكتبات المتخصصة ومراكز التوثيق والمعلومات حيث نجح نجاحاً كبيراً فى ترتيب الوثائق على الرفوف والفهارس المصنفة. وهناك العديد من المستخلصات والكشافات التى تعتمد فى ترتيب مداخلها على هذا التصنيف سواء بأرقام أو بدون أرقام. كما يستخدم هذا النظام فى تصنيف تقارير مؤسسة الطاقة الذرية البريطانية ومطبوعات العديد من المؤسسات العلمية وهو يستخدم فى مصر فى مكتبة مركز الاعلام والتوثيق.

ومن سخرية القدر أن هذا التصنيف رغم استخدامه فى كثير من المشروعات الببليوجرافية ورغم أنه قد وضع أساساً لاعداد الببليوجرافية العالمية الشاملة إلا أنه لم يحقق ذلك الهدف لسبب بسيط أن تلك الببليوجرافية العالمية لم تنجز حتى الآن وأصبحت حلقة فى ذمة تاريخ الببليوجرافيا والحقيقة أن من بين معوقات انتشار هذا النظام أن أرقامه لم توضع حتى الآن على أى من مشروعات الفهرسة الآلية أو الفهرسة المنقولة ولم تتبنه أى من الببليوجرافيات الوطنية الكبرى كما هو الحال فى تصنيف ديوى العشرى.

وقد بدأ هذا التصنيف كما رأينا بتوسيع البنية الأساسية لتصنيف ديوى العشرى، والاستفادة من الترقيم العربى ذى الإستخدام العالمى. وقد سمح ديوى نفسه بهذا التوسيع شريطة أن تبقى التقسيمات الألف الأولى كما هى دون مساس. وقد قيل بأن التصنيف العشرى العالمى طالما أنه بنى على تصنيف ديوى العشرى فإنه هو الآخر يفتقر إلى الأساس الفلسفى النظرى فى التصنيف. وبالتالى أثر على القيمة الحقيقية للتصنيف العشرى العالمى وخاصة فى بنيته الأساسية. ومع كل ذلك فإنه بعد هذا الأساس المشترك بين التصنيفين تطور كل منهما فى طريق واتجاه مختلف تماماً. بل وأصبحت هناك اختلافات أساسية فى الفروع الرئيسية حتى على مستوى الأعداد الثلاثة والأربعة الأولى من الرقم.

بعد الاتفاق المبدئى على اقتباس البنية الأساسية لتصنيف ديوى وضع النظام كله فى أيدى أخصائيى الموضوعات المختلفة حيث قام كل منهم باعادة تشكيل النظام حسب ضرورات تخصصه ومتطلباته. ومن خلال هذه العملية غير التصنيف جلده وطبيعته. ورغم أن كلا النظامين ببليوجرافى إلا أن تصنيف ديوى يجنح نحو ترتيب الكتب على الرفوف أكثر (مكتبى أكثر) بينما يجنح التصنيف العشرى العالمى نحو التوثيق أكثر (كتبى أكثر).

وبالاضافة إلى التوسع فى تفصيل الموضوعات وحصرها فقد طور هذا التصنيف شبكة من الوسائل التركيبية ففى مقدمة الطبعة المتوسطة العالمية من هذا النظام والتى صدرت سنة ١٩٨٥ والتى نشرها المعهد البريطانى للمقاييس يعترف النظام بأنه «هجين» من النظام الحصرى فى الجداول الرئيسية حيث تم الحفاظ على الأرقام الرئيسية والنظام التحليلى التركيبى متمثلا فى الجداول المساعدة وتستطرد هذه المقدمة إلى القول بأن النظام تطور من مجرد مشروع تصنيف حصرى إلى نظام وجهى كامل.

أما البنية الأساسية للنظام فإنها تسير على النحو الآتى فى أقسامها الرئيسية بنفس ترتيب ديوى ولكن مع التفصيل:

العموميات (المعارف العامة)
العلم والمعرفة
التنظيم
المعلومات
١ الفلسفة
علم النفس
٢ الدين
اللاهوت
٣ العلوم الاجتماعية
القانون
الحكومة
٤ خالى
٥ الرياضيات
العلوم البحتة (الطبيعية)
٦ العلوم التطبيقية
الطب
التكنولوجيا
٧ الفنون
الترفيه
وقت الفراغ
الرياضة
٨ اللغات
اللغويات
الآداب
٩ الجغرافيا
التراجم
التاريخ

وتشير البنية الأساسية إلى قليل من التغيير بين النظامين كما جمع العشرى العالمى اللغة والأدب فى قسم واحد وترك مكان اللغة خالياً للمستقبل. ولكن يبقى الترقيم نقياً وبالأرقام العربية كما هو الحال فى تصنيف ديوى. ولكن بعد الأقسام الرئيسية تتفرع الشعب والفروع وتداعياتهما بطريقة مستقلة تماما وبتفاصيل أدق كثيرا وتوسعات أكثر مما هو موجود فى تصنيف ديوى. ولايهم بقاء الأقسام الرئيسية كما هى لأن العشرى العالمى يوجه أساساً للمكتبات المتخصصة التى لا تتضخم مجموعاتها كما تتضخم مجموعات المكتبات الوطنية والجامعية. ونضرب المثال الآتى على التفصيل فى العشرى العالمى.

٧٢٨,١	الاسكان والمساكن
,٢	المساكن متعددة الأسر
,٢٢	بلوكات الشقق
,٢٢٢	بلوكات المنازل
,٢٢٤	البلوكات الصغيرة
,٣	مساكن الأسر الفردية
,٣١	المساكن ذات الفراندات (الشرفات)
,٣٤	المساكن شبه المنعزلة
,٣٧	المساكن المنعزلة
,٣٨	المساكن أحادية الطابق (منخفضة السقف) [بنجالو]

هذه التفاصيل الدقيقة لايوجد لها مثيل فى تصنيف ديوى.

إن تحديد رقم التصنيف من الجداول الرئيسية فى العشرى العالمى تختلف قليلاً عنها فى تصنيف ديوى. ويتفوق العشرى العالمى على ديوى بالأرقام التركيبية التى تضاف إلى رقم الأساس. وثمة نوعان من أدوات التركيب فى العشرى العالمى. **النوع الأول** تركيب موضوع على موضوع من الجداول الرئيسية لكى نعكس العلاقة بينهما. وهذه متروكة للمصنف لأنه من المستحيل استشرافها ومن المستحيل إعداد قائمة بها. وطبيعة العلاقة كذلك بين الموضوعين يمكن التعبير عنها إلى حدما بواسطة رموز معينة متعددة. وهذه الرموز التى تكشف عن العلاقات بين الموضوعات تشكل جزءا مما نطلق عليه «العلامات

العامة المساعدة». وعلى سبيل المثال فإن علامة زائد + تستخدم لربط الرقمين الدالين على الموضوعين من الجداول الرئيسية حين يكون الموضوعان قد عولجا معالجة متساوية فى الكتاب وعلى سبيل المثال موضوعا استخراج المعادن والتعدين ٦٢٩ + ٦٢٢. أما الشرطة المائلة/ فإنها تستخدم للدلالة على أن الكتاب يتناول عددا من الموضوعات المتتابعة فى الحداول الرئيسية على سبيل المثال ٥١٤ / ٥١١ يدل على أن الكتاب يتناول الحساب والجبر والهندسة. أما الشارحة « : » فإنها تكشف عن وجود علاقة بين الموضوعين ولكنها لاتبين طبيعة هذه العلاقة، أو الأهمية النسبية لكل منهما فى الكتاب المصنف وعلى سبيل المثال العمل الزراعى يأتى رقمه على النحو الآتى: ٦٣:٣٣١,٥.

وهذه الطريقة تعكس الهدف الأساسى من النظام وهو محاولة ارضاء احتياجات المصنفين الذين يرغبون فى نظام استرجاع معلومات أكثر منه نظاما لترتيب الأوعية على الرفوف. كذلك قد تستخدم الشارحتان « :: » لتثبيت مكونات رقم التصنيف فى حالة الموضوعات المركبة وقد نبه التصنيف العالمى إلى أن هذه العلامة تستخدم أساساً فى حالة ملفات البيانات الآلية. أما المعقوفتان [ ] فانهما تستخدمان كعلامة جبرية للتجميع أو الحصر فى حالة الموضوعات المركبة على وجه الخصوص لبيان تداعى تلك الموضوعات. وعلى سبيل المثال الحدائق والمنازل الفخيمة فى اسكوتلاندا تأخذ رقم [08 728 + 712] (411) للتأكيد على أن كلا من الحدائق والمنازل هى اسكوتلندية. وعندما نستخدم علامة زائد، المعقوفتين، والشارحة. فإن عناصر رقم التصنيف الناتج تنساب فى سلاسة ومرونة وترتيب هذه العناصر يخضع بطبيعة الحال لاحتياجات كل مكتبة على حدة كما تستخدم هذه العلامات أيضا فى فهارس المكتبات والببليوجرافيات والكشافات ولا يهم بأى العناصر نبدأ لأن القارئ سيدرك كل العناصر المكونة للرقم ويفيد منها بطريقته. وربما كان التتابع الموجود فى الموضوع نفسه هو الذى يقرر ترتيب عناصر رقم التصنيف وبالتالى يقرر مكان ترتيبه فى الرفوف أو الفهرس أو الببليوجرافية. وعلى أى حال فإن أى عنصر فى رقم التصنيف يمكن ابرازه عن طريق المداخل الإضافية الموضوعية فى الكشافات والفهارس الموضوعية والببيلوجرافيات.

والنوع الثانى من أدوات التركيب فى العشرى العالمى القوائم المنفصلة أو المساعدة

وهى التى تسجل أرقام المفاهيم العامة التى تنسحب على كثير من إن لم يكن كل الموضوعات. ومن الطريف أن الأرقام الواردة فى الجداول المساعدة تحت اللغة؛ الشكل؛ المكان؛ الزمان؛ العرق يمكن استخدامها مع الأرقام أو قائمة بذاتها. أما الجداول المساعدة فى: وجهة النظر؛ المواد؛ الأشخاص فلايمكن استخدامها بمفردها بل تركب فقط مع الأرقام الأساسية فى الجداول الأم.

وتستخدم علامات معينة للفصل بين أرقام الأساس والأرقام المركبة من الجداول المساعدة. فعلامة التساوى = تستخدم لاضافة رقم اللغة. أما أرقام المكان والشكل فتوضع بين قوسين: (٥٠) ٥٣ أى قاموس فى الفيزياء بينما (٤) ٣٨٥ يدل على السكك الحديدية فى أوربا. أما رقم العرق فإنه يمزج بين العلامتين حيث يوضع مسبوقا بعلامة التساوى بين قوسين (٩٤٢=) للدلالة على الشعوب المنغولية. أما علامات التنصيص" " فتستخدم للدلالة على الفترة التاريخية التى يغطيها العمل. ومن الطريف أن هذه العلامة تسمح بتغطية أية فترة زمنية: السنة، اليوم، الساعة بل حتى الدقيقة والثانية والمثال الصارخ الآتى يدل على ذلك: "1982, 12, 25, 10, 15, 03" أى يغطى الفترة الممتدة لثلاث ثوان بعد الدقيقة الخامسة عشرة الساعة العاشرة من صباح يوم عيد الميلاد (الخامس والعشرين من ديسمبر) سنة ١٩٨٢.

وأطرف من هذا فإن الجدول الزمنى المساعد يغطى المفاهيم الزمنية مثل شروق الشمس، غروب الشمس؛ زمن الحرب، زمن الاسترخاء، كذلك تستخدم علامة الصفرين «٠٠» للتعبير عن وجهة النظر أو عنصر الرأى وعلى سبيل المثال الرقم المساعد ٠٠١,٤ يستخدم للدلالة على أن الموضوع المصنف ما يزال قيد البحث أو التجربة أو تحت الاختبار.

وبالاضافة إلى الجداول المساعدة العامة التى قد تستعمل مع أرقام الأساس فى هذا التصنيف توجد تحت كثير من الفروع فى الجداول الرئيسية «**جداول مساعدة خاصة**». وبطبيعة الحال فإن هذه الجداول المساعدة الخاصة لا تصلح خارج الموضوع أو الفرع الذى صمم له. والأرقام التى تستقى من تلك الجداول الخاصة يفصل بينها وبين رقم الأساس بشرطة «ـ» أو بصفر مسبوقا بالعلامة العشرية «٠,» والشاولة أو الفاصلة تستخدم لنفس الغرض ولكن فقط فى الجداول الرئيسية مع الكيمياء والصناعات الكيمياوية. ويعج

هذا التصنيف بارشادات وتعليمات «صنف مثل» الذى يسمح للمصنف باستخدام التفاصيل الموجودة فى جزء ما من الجداول لبناء الأرقام فى جزء آخر وعلامة صنف مثل «~» تعتبر من أدوات التركيب الهامة فى النظام:

ونقدم فيما يلى العلامات المساعدة فى التحليل الوجهى والتركيب مع وظائفها للتركيز والتلخيص.

العلامة	المجال
=	اللغة
(,٠)	الشكل
(١ / ٩)	المكان
(= ٠٠٠)	الجنسية
«٠٠٠»	الفترة
+	تركيب موضوعين برقمين
/	تركيب عدة موضوعات متعاقبة الترقيم
:	تركيب ترقيمات تعكس العلاقة بين الموضوعات
::	نفس الحالة السابقة ولكن أساساً مع تسجيلات الحاسب
,..	وجهة النظر أو المرحلة
ـ ٠٣	المادة
ـ ٠٥	الأشخاص
ـ ١ / ـ ٩ ,٠١ /,٠٩ ,١ /,٩	قوائم خاصة فى الجداول الرئيسية

ومن هنا يتضح لنا وجود سلسلة واسعة من الترقيمات المساعدة فى التصنيف العشرى العالمى وهناك مجال متسع لاستخدامها فى تركيب وتوسيع الموضوعات وعكس العلاقات القائمة بينها. ومع هذا فإن المصنف المبتدئ والقارئ أيضا قد يجد أنها معقدة ومربكة له ولكنها مع قليل من التدريب يمكن السيطرة عليها والإفادة منها إلى أبعد حد.

وربما تتطور أدوات التحليل والتركيب فى التصنيف العشرى العالمى أبعد من هذا فقد شكلت لجنة (فريق عمل) لتطوير النظام لمواجهة تحديات المستقبل وقد أوصت تلك اللجنة سنة ١٩٨٦ بإعادة بناء النظام من جديد لتحقيق أقصى فاعلية داخل الأنظمة الآلية الآن وفى المستقبل المنظور. وفى الطريق إلينا وقبيل انصرام القرن تنقيحات وتغييرات شاملة من الداخل والخارج أيضا أى فى فلسفة النظام نفسه. إن القريبين من النظام يرون أن التغييرات الداخلية سوف تجعل النظام متاحاً على الخط المباشر وتتخذ هذه التغييرات أولويات محددة. كذلك فإن تغييرات أخرى سوف تتناول إعادة توزيع وإعادة بناء الأقسام الرئيسية وشعبها على أسس نظرية وفكرية وإعادة البناء الوجهى ربما بالاستفادة من نظام موجود بالفعل هو نظام «التصنيف الببليوجرافى» لصاحبه بليس فى طبعته الثانية الجديدة والذى سنتعرض له بعد قليل فى هذا البحث. وقد قال عنه الخبراء بأنه قوى البنية، منطقى، يتميز بخواص التحليل والتركيب الوجهية ومن هنا فإنه يستطع إمداد التصنيف العشرى العالمى بهيكله العظمى على الأقل. ولكن هذه الفكرة ما تزال محل دراسة وفى مرحلة مبكرة ولم تتعد مرحلة المقترحات فهناك اختلافات جوهرية بين النظامين العشرى العالمى والتصنيف الببليوجرافى سواء فى النظرية أو المنهج. كما أن إعادة تشكيل البنية الأساسية للنظام وقلبه سوف يتطلب من المكتبات المستعملة له إعادة تصنيف مجموعاتها. وربما تكون فوائد إعادة تشكيل النظام عديدة وعظيمة فيما يتعلق بمبادئ التحليل الوجهى والتفصيل الدقيق فى التفريع.

والحقيقة أن التصنيف العشرى العالمى يمر بمرحلة دقيقة من تاريخه ويستحق أن يعطى اهتماما خاصاً فيما يدخل عليه من تغييرات آنية وتغييرات استراتيجية مستقبلية. ولقد قال بعض خبراء التصنيف بأن «التصنيف العشرى العالمى يجب أن يحظى بأحسن سياسة تنقيح على الاطلاق» لقد تغيرت أشياء كثيرة فى السنوات الأخيرة ويجب أن يخصص الوقت الكافى لمتابعة تلك التطورات.

لقد بدأ النظام سنة ١٨٩٥ ولكن أول طبعة فرنسية كاملة صدرت سنة ١٩٠٥ . وقد بدأ النظام كما ذكرنا فى المعهد الدولى للببليوجرافيا المسمى الآن بالاتحاد الدولى للتوثيق. وهذا الاتحاد هو الذى يتوفر على تنقيح ومراجعة النظام ولو أنها مراجعة بطيئة ومعقدة إلا أنها دقيقة ومناسبة ومستمرة من خلال لجنة استشارية متخصصة؛ وهناك مؤسسات وطنية

فى عدة دول كل منها مسئولة عن اصدار طبعة لغتها فالطبعة الانجليزية يتوفر عليها المعهد البريطانى للمقاييس. وهناك هيئات وطنية فى ألمانيا وفى بلجيكا مسئولة عن الطبعة الألمانية والطبعة الفرنسية على التوالى وهى جميعا هيئات لا تهدف للربح ولكن الناشر بطبيعة الحال ناشر تجارى. ورغم أن التطور الدولى لهذا النظام لم يكن متوازناً فإن النظام منشور الآن فى طبعات مختلفة متفاوتة فى اثنين وعشرين لغة. والطبعات إما كاملة أو متوسطة (٣٠٪ من الكاملة) أو مختصرة (١٠٪ من الكاملة). وإصدار الجداول الرئيسية عمل بطئ وما تزال الطبعة الانجليزية الموسعة غير كاملة النشر رغم أنها بدأت ١٩٣٦. وقد جرت محاولة لتقنين نشر الجداول الرئيسية عالمياً وذلك عن طريق نشر الطبعة المتوسطة الحجم بثلاث لغات: الانجليزية والفرنسية والألمانية. ولكن من عيوب هذه المحاولة أن الطبعة الانجليزية التى صدرت سنة ١٩٨٥ لا تطوير فيها عن الطبعة الألمانية الصادرة سنة ١٩٧٧ رغم ما طرأ على المعرفة البشرية خلال تلك الفترة من تحولات. وسبب ذلك هو افتقار النظام إلى اشراف مركزى موحد على عملية التحرير والتنقيح والنشر. ويرجع ذلك كله إلى نقص المصادر المالية.

ومع ذلك حدثت تطورات استراتيجية هامة خلال الثمانينات ففى ١٩٨٦ وبناء على تقرير وضعه آلان جيلكريست بعنوان: التصنيف العشرى العالمى: التسعينات وما بعدها (نشر ضمن مجموعة فى امستردام للناشر السفير ١٩٩٢). شكلت لجنة تضم خبراء موضوعيين من مختلف قطاعات صناعة المعلومات. وقد انبثق عن هذه اللجنة خمس لجان فرعية تعمل تحت إشراف مجلس إدارة التصنيف العشرى العالمى سميت لجان تنسيق مراجعة النظام وذلك لمراجعة الجداول الرئيسية مراجعة شاملة وتطوير النظام طبقا لأسس التصنيف الحديثة. وهذا التشكيل الجديد قصد به أن يعطى دفعة قوية ويسرع الخطى فى عمليات تطوير وتحديث النظام بدلاً من عمليات الترقيع غير المتوازنة المتقطعة التى كانت تتم سابقاً. هنا تجتمع خبرة علماء التصنيف مع خبرة أخصائيى الموضوعات لتعطيا التصنيف العشرى العالمى دفعة قوية وفعالة.

وفى نفس السنة كما أشرنا سابقاً شكل «**فريق عمل لتطوير نظام التصنيف العشرى العالمى**» بإشراف ايا ماكلوين لتأصيل وتأطير استراتيجية تطوير النظام وتقديم النصائح لنموه فى المستقبل. وقد وضع فريق العمل هذا تقريره ورفعه إلى مجلس الاتحاد الدولى

للتوثيق فى مارس سنة ١٩٩٠ متضمنا المقترحات التى ارتآها الفريق لتطوير النظام مستقبلاً بما فى ذلك إعداد «نسخة قياسية محسبة من النظام من الطبعة المتوسطة». كما وضع «دليل الممارسة» لمراجعة النظام على أسس مقننة وثابتة، كما اتخذت خطوات لتطوير إدارة النظام ومع نهاية ١٩٩١ انتقلت مسئولية إدارة النظام والاشراف عليه من الاتحاد الدولى للتوثيق إلى «مجمع التصنيف العشرى العالمى». هذا المجمع المهنى يتألف من ستة من الناشرين التجاريين سيقومون بتمويل وإدارة النظام على أسس ثابتة واقتصادية ويدعمونه ماليا ويضمنون مستقبله التجارى. وسيظل الاتحاد الدولى للتوثيق عضواً فى هذا المجمع إلى جانب المعهد البريطانى للمقاييس بينما الأعضاء الأربعة الآخرون فى المجمع هى مؤسسات من أسبانيا وهولندا وبلجيكا واليابان. وقد اتخذ هذا القرار لضمان الاستثمار فى تطوير هذا النظام خاصة بعد احتمالات تحسيب النظام على الحاسب الآلى على الرغم من إعلان الإدارة الجديدة للاتحاد الدولى للتوثيق أن هناك مستخدمين حاليين للنظام يجب أخذ مصالحهم كاملة فى الاعتبار. ويتصل بهذه التطورات أيضا ما أعلن عنه فى سنة ١٩٩٣ من تعيين رئيس تحرير مسئول لتوحيد وجهات النظر المختلفة فى التطوير والتأليف فيما بينها ووضع سياسة تحقق الأهداف الفكرية والتجارية للنظام وأول من عين فى هذا المنصب الآن هو «إيا ماكلوين» الذى كان له ارتباط طويل بهذا التصنيف.

وعلى الرغم من تشكيل هذه اللجنة ووضع مراجعة النظام وتنقيحه وتطويره تحت اشرافها فإن الجهود التطوعية ستستمر فى دعمها له، تلك الجهود التى تأتى من جانب المكتبيين والموثقين والمنظمات المختلفة وكما هو الحال فى فريق العمل الذى شكل لهذا الغرض والمشار إليه وعلى الرغم من التعاقد مع بعض الخبراء ولكنها على أية حال تعاقدات محدودة. ولكن مما يجدر ذكره أن الاعتماد المطلق على الجهود التطوعية فى الماضى وعلى آراء المكتبيين والموثقين فى النظام أسفرت جميعها عن تطور غير متوازن فيه.

إن إنجازاً عظيماً قد تم الآن وهو إنتاج طبعة الكترونية من هذا التصنيف العشرى العالمى وهى الطبعة الانجليزية المتوسطة التى نشرت سنة ١٩٨٥ وقد أدخل عليها كل التعديلات والتصحيحات التى طرأت منذ ذلك التاريخ لجعلها حديثة بقدر المستطاع. حقا إن «قاعدة بيانات» هذه الطبعة لا تعد الطبعة الكاملة ولكنها على أية حال تقترب من

٦٠,٠٠٠ مدخل (رقم تصنيف). ومن غير المتوقع أن تحول الطبعة الكاملة إلى الشكل الالكترونى فى المستقبل القريب مما قد يحبط كثيراً من المكتبات المتخصصة التى تعتمد على الجداول الكاملة ولا تصلح لها الطبعة المتوسطة أو الصغيرة. وعلى أية حال فإن فوائد تلك القاعدة المتوسطة كثيرة للغاية لأنها تضمن على الأقل الاتصال بطبعة قياسية وأرقام تصنيف متفق عليها والحصول على أحدث التغييرات والتنقيحات بمجرد ادخالها إلى القاعدة. مع احتمال ربط هذه القاعدة بقواعد آلية أخرى مماثلة وأكثر من هذا سرعة أكبر فى إصدار الطبعة الورقية. وفى نفس الوقت يأخذ المعهد البريطانى للمقاييس الآن فى الاعداد لطبعة متوسطة جديدة وربما تحذو الهيئات الأخرى حذوه. وسوف يعتبر «ملف الاستناد المرجعى» الذى يعد الآن فى مدينة لاهاى تحت اشراف «اللجنة الاستشارية الفنية» هو المرجع الأساسى فى كل ما يتعلق بهذا التصنيف. وقد وضع للطبعة الالكترونية من التصنيف العشرى العالمى دليلان أحدهما يشرح كيفية استخدام القاعدة فى عملية تصنيف المواد ويشرح تفاصيل الطبعة العالمية المتوسطة هذه. والدليل الثانى يشرح طرق وضع القاعدة موضع الاستخدام والتنفيذ بالنسبة للمستفيدين فى الفهارس العامة المباشرة. ومازال الوقت مبكراً للحكم على فاعلية وجدوى هذه التطورات التى دخلت عل النظام. ولكن ما يدعو للتفاؤل أن هذا النظام قيضت له إدارة قوية ومتحمسة لها سجل مشرف فى تطويره فى الماضى. وإذا أسرعت علميات التطوير الخطى فى المستقبل واستجابت لنداء العالمية كما خطط واستجابت لاحتياجات القراء فإن التصنيف العشرى العالمى سيصبح عالميا وبحق.

وكما أشرنا فإن التصنيف العشرى العالمى هو أكثر التصانيف الثلاثة من حيث التحليل والتركيب. ومع هذا فإنه لم يكن قد صمم منذ البداية ليكون نظاما تركيبيا كاملاً وهو ليس كذلك الآن. لقد وضع النظام على أسس تركيبية مثل تلك الموجودة فى تصنيف الشارحة (رانجاناثان) ولكن هذا التركيب يقوم على «أسس حصرية» أو بنية حصرية. والنتيجة مزيج من الحصر والتركيب الوجهى فى آن واحد أدى إلى عدم توازن فى بعض الأحيان وعدم القدرة على التنبؤ. لقد استخدمت الوسائل المساعدة على التذكر فى هذا التصنيف أكثر بكثير مما فى التصنيف العشرى لديوى وخاصة من خلال الجداول المساعدة وعلى سبيل المثال فإن اسكوتلندة فى كل الأحوال رقمها (٤١١) ولا يستخدم

هذا الرقم لتمثيل أية فكرة أو مفهوم آخر. وبنفس الطريقة فإن القرن العشرين رقمه دائما هو «١٩». وفى هذا فائدتان الأولى سهولة استدعاء الأرقام من جانب المصنف والثانية القدرة على التعرف على جزئيات رقم التصنيف سواء من جانب الانسان المستخدم للنظام أو الآلة المخزنة للنظام.

ولكى يسمح النظام للمكتبات الفردية وللمشروعات الفردية باستخدامه بما يتفق واحتياجاتها فإن المصنف يمكنه الوقوف عند مستوى معين من التصنيف إذ ليس من الضرورى أن يصل إلى أدق التفاصيل. ليس هذا فقط وإنما أيضا على مستوى الجداول المساعدة (وعلى سبيل المثال فإن جداول التقسيمات المكانية والزمنية يمكن استخدامها على التبادل) أو عن طريق تخصيص الموضوعات المركبة ويرى البعض أنه بينما يحاول هذا النظام الوفاء باحتياجات المكتبات الفردية والمشروعات الببليوجرافية فإن ذلك قد يؤدى إلى تغييرات فى استخدام النظام من مكتبة إلى أخرى ومن ثم لا تتأتى له وحدة التطبيق العالمية التى ينشدها من وراء الترقيم القياس الذى يسير عليه. وهذا الافتقار إلى الترقيم الثابت الموحد معناه أن مبدأ «التطوير الرسمى» لن يطبق بصرامة وهذا بدوره يعنى أن الوصول إلى «بنية قياسية دائمة» من الصعب تحقيقه.

وعلى الرغم من استخدام التصنيف العشرى العالمى دوليا ـ حيث هو متاح فى ٢٢ لغة بأشكال مختلفة فما يزال فيه بقية من انحياز غربى، ربما يكون موروثا من الأصل «ديوى العشرى» ويتضح ذلك أوضح ما يكون فى قسم «الديانات» الذى تسيطر عليه الديانة المسيحية كما يوجد الانحياز فى معالجة الايديولوجيات السياسية والاختلافات الثقافية. ولابد أن ندرك أن مستخدمى النظام ينتشرون فى أنحاء متفرقة من العالم وقمة هذا الاستخدام توجد فى دول أوربا الشرقية وفى روسيا حيث يستخدم بكثافة. لقد كانت المكتبات المتخصصة بالذات الموقع الخصب للتصنيف العشرى العالمى هى ومراكز المعلومات. ولم يحقق النظام نجاحاً يذكر فى المكتبات الجامعية والعامة. وربما يرجع ذلك إلى أن الجداول المفصلة فيه تصل فى مداخلها إلى عشرة أضعاف ما تصل إليه جداول تصنيف ديوى العشرى وعندما يصنف المرء موضوعا متخصصاً فإن جداول العشرى العالمى تمده بأعمق رقم يعبر عن هذا الموضوع بينما يفشل ديوى العشرى فى ذلك كما أن هذا النظام يصلح لاسترجاع المعلومات وليس فقط لتسكين الكتب على الرفوف.

إن قيمة أخرى تضاف إلى قيم هذا التصنيف وهى أنه مستقل تماما عن أية لغة وأية دولة. ومن ثم فإنه من اليسير استخدمه فى علميات التكشيف الترابطى لتمثيل أية مفاهيم موضوعية كما يمكن استخدامه كمكنز وجهى كما يمكن استخدامه فى بناء التكوينات الموضوعية الطبقية.

إن الخبراء يعتقدون أن التصنيف العشرى العالمى هو أصلح التصانيف العامة للاستخدام الآلى وخاصة فيما يتعلق باستخراج المعلومات من الملفات الآلية ورغم صحة هذا الاعتقاد إلا أنه ما تزال هناك مشاكل تتعلق بتداعيات البناء الطبقى للنظام وترقيمات التصنيف الخاصة بها، ومشكلة التفسير الآلى لدلالات الرموز والعلامات التركيبية. ومع اعترافنا بكل مميزات التصنيف الحصرى فى الاختزان والاسترجاع الآلى حيث: لكل موضوع رقم تصنيف يسترجع به يدل عليه ويميزه عن غيره ـ والتصنيف الوجهى يتميز كذلك: امكانية تركيب وجوه الموضوع الواحد معاً واسترجاعها عن طريق المنطق البوليانى. وعندما اجتمع هذا المزيج الحصرى التركيبى فى التصنيف العشرى العالمى فإنه يعطيه ميزة كبرى فى الاختزان والاسترجاع الآلى ولكنه يخلق بعض المتاعب والمصاعب.

وفى تقرير عن مشروع لإعداد مكنز من واقع شعبة «السكان» فى التصنيف العشرى العالمى بعد أن جرى تنقيحها وإضافة تركيبات جديدة عليها يؤكد واضعا التقرير أن هذه الشعبة بتفريعاتها الحصرية يمكن ربطها بالمكنز عن طريق شبكة الأرقام فيها. إن ربط المكانز ذات المداخل الترابطية بالتصنيف العشرى العالمى بحالته الراهنة يجعل منه نظاما سهلا وصالحا لعصر الاسترجاع المباشر دون ادخال تغييرات جوهرية على بنيته الأساسية القائمة. وإن محاولة وضع استراتيجية لإعادة بناء التصنيف العشرى العالمى على أساس القاعدة الوجهية فى تصنيف بليس يؤكد النقد الذى وجه له من أنه نظام «هجين» ليس تركيبياً خالصاً وليس حصرياً خالصاً.

وبسبب اعتماد النظام كثيرا على الجهود التطوعية من دول مختلفة فى عمليات التنقيح والمراجعة فقد جاء تطور النظام على مراحل. ولسوف يتغير هذا الوضع مع تنفيذ الهيكل التنظيمى الجديد للإدارة. ومن جهة ثانية فإن تطبيق هذا النظام لا يتم بطريقة متسقة فهناك مكتبات ومراكز معلومات ومشروعات ببليوجرافية لم تستعمل حتى الآن

الطبعات الكاملة، أو نظام العلامات بأسره أو الجداول المساعدة كلها. ومع هذا فإن ثمة اتجاها متزايداً لدى إدارة النظام باحداث نوع من الاتساق فى الاستخدام الدولى له. كما أن هناك اعترافا بأهمية تقييس هذا النظام على المستوى الدولى سواء فى نشر الجداول ومراجعتها بل وفى استخدامها أيضا. لأن هذا التقييس والاتساق يجعلان له شعبية دولية. لقد كان نشر «الطبعة الأم» المتوسطة مع إمكانية التوسع فى الطبعة الكاملة، هما خطوتان على هذا الطريق.

إن التصنيف العشرى العالمى فى الوقت الراهن يعيش مرحلة ديناميكية وفياضة من تاريخه حيث دخل تغيير هام على الجهاز التنظيمى له. كما تم اختبار وجس التطورات المستقبلية ومن بينها: جعل النظام أكثر قابلية للتحميل والاسترجاع الآلى، وضع قاعدة فلسفية معرفية أصلب للنظام؛ توسيع نطاق الاستخدام العالمى له.

* * *

رابعا: تصنيف الشارحة (رانجاناثان)

نشر هذا التصنيف لأول مرة سنة ١٩٣٣. وتوفر عليه كما رأينا عالم الرياضيات والمكتبى الهندى س. ر. رانجاناثان بعد دراسة علوم المكتبات فى بريطانيا لفترة وكان قد تتلمذ فى التصنيف على يد برويك سيرز. وقد كانت الطبعة الأولى سريعة تقليدية وقد اعترف رانجاناثان نفسه بذلك. وكانت الطبعات اللاحقة أفضل ونشر بعضها فى المجلد التذكارى الموجه لسيرز. والطبعة السادسة صدر المجلد الأول منها سنة ١٩٦٦ ولكن المجلد الثانى لم يظهر والذى كان المفروض أن يستخدم فى تصنيف الوثائق (غير الكتب). وكان رانجاناثان هو الوحيد الذى فكر فى التصنيف على مستويين: الكتب. والمواد غير المطبوعة والنقد الأساسى الذى يوجه لهذا التصنيف أنه لا يستخدم إلا فى عدد محدود من المكتبات داخل الهند وربما مكتبة واحدة خارج الهند، هى إحدى كليات جامعة كمبردج. ولقد قام رانجاناثان نفسه بتجربة هذا النظام فى مكتبة جامعة مدراس على مجموعة قوامها ٢٥ ألف مجلد. ومهما يكن من أمر فإن هذا التصنيف هو ثمرة حية وتطبيق عملى لفكر رانجاناثان فى التصنيف. وربما كان التصنيف الوحيد الذى يقوم على نظرية علمية فى التصنيف. وقد شرح رانجاناثان فكرة التصنيفى فى كتابه العظيم (تمهيد فى تصنيف المكتبات). وله كتاب آخر فى التصنيف هو (عناصر التصنيف المكتبى). ومن يريد أن يدخل إلى تصنيف الشارحة عليه أن يبدأ بهذين الكتابين.

وهناك فى الواقع أهداف رئيسية تكمن وراء كتب رانجاناثان فى التصنيف كما تكمن خلف تضيف الشارحة نفسه. وكان الهدف الأسمى لديه هو أن يقدم لغة جديدة ونظرية فريدة فى التصنيف. لقد عبر عن رغبته فى إيجاد نظام فعال لترتيب الكتب على الرفوف ويقدم رقم التصنيف الدقيق والمناسب لموضوع كل وثيقة على حدة وإعطائها خصوصيتها بعد رقم الموضوع عن طريق رقم كامل للطلب. ويقوم كل مصنف بتنقيح وتطوير النظام بنفسه عن طريق تعليمات وإرشادات موجودة داخل النظام، إذا ما جدت موضوعات أو فروع جديدة على ساحة المعرفة البشرية. إن تضيف الشارحة يحفل بالأفكار كما يحفل بالملامح. ولقد تطور تطوراً عظيما بين طبعة وأخرى وذلك بسبب الاصرار على دقة تخصيص الموضوعات والرغبة فى مواكبة الموضوعات التى تجد على الساحة سواء كانت موضوعات بسيطة أو مركبة أو معقدة وربما كانت التنقيحات الكثيرة والسريعة فى النظام بسبب الخصوبة الفكرية وروح الابتكار والكشف لدى رانجاناثان مبدع هذا التصنيف. لقد كان من سمات هذا التصنيف إدخال نظريات جديدة وأصيلة اليه.

إن جل موضوعات المعرفة تبدو مركبة ولكنها فى الواقع تستمد عناصرها أساساً من وجوه الموضوع الدقيق وذلك بإضافة عناصر المكان والزمان. ومن هنا يقوم تصنيف الشارحة بحصر المجالات الموضوعية التقليدية وداخل كل منها يقوم بادراج العناصر التى يمكن أن تركب إليها إذا لزم الأمر. وتداعى الموضوعات أى الترتيب المنطقى لها تحكمه خريطة وجهية لأنه فى عرف رانجاناثان فإن جميع العناصر تقع بالضرورة فى واحدة من خمسة مفاهيم أساسية هى: الشخصية ـ المادة ـ الطاقة ـ المكان ـ الزمان. وفى ترتيب عناصر النظام تتداعى هذه العناصر طبقا لترتيب هذه المفاهيم أو الأوجه وهو يعبر عنها بالاستهلال الانجليزى PMEST: ـ

الشخصية	Personality	P
المادة	Matter	M
الطاقة	Energy	E
المكان	Space	S
الزمان	Time	T

وكل وجه يركب إلى الموضوع عن طريق علامات ترقيم تستعمل كمؤشر وجهى يحدد الترقيم والوجه أى يصبح دلالة على الترقيم والوجه الذى ينتمى إليه. وهذه العلامات المميزة للوجوه هى:

الفاصلة ،	علامة على الشخصية
شبه شارحة ؛	علامة على المادة
شارحة :	علامة على الطاقة (وكانت العلامة الوحيدة فى البداية وعرف بها)
النقطة .	علامة على المكان
الواوية'	علامة على الزمان

والحقيقة أن وجهى الزمان والمكان معروفان ولا يحتاجان إلى شرح فهما موجودان فى كل التصانيف. ولكن الوجوه الثلاثة الأخرى لصيقة بهذا النظام دون سواه واستعمالها هو استعمال خاص وبالتالى تحتاج إلى توضيح. فوجه **الطاقة** يستخدم التمثيل أو التعبير عن العمليات والأنشطة التى تستهلك المجهود الذهنى والبدنى، أما وجه **المادة** فإنه نادراً ما يستخدم حتى الطبعة السابعة ويقصد بها الهيئة التى يتجسد عليها الموضوع نفسه. أما **الشخصية** فهى جوهر أو العنصر الأساسى أى الموضوع المجرد من كل شئ.

لقد حاول رانجاناثان جاهداً أن يقدم جداول أساسية تفصيلية متسقة تتداعى تداعياً منطقياً ليس فقط فى الأقسام الرئيسية وإنما أيضا فى شعبها وفروعها. وجداوله الرئيسية رغم أنها تبعد كثيرا عن أفكار كتروبليس فإن لها فلسفتها الخاصة على نحو ما نقرأه له فى كتاباته الأخرى فى مجال المكتبات والمعلومات. وهكذا فإننا عندما نجد فى العمل الرئيسى لأجد فلاسفة القرن التاسع عشر أن الدنيا هى إرادة جبارة عمياء لانهائية (الطاقة). وأنها حسب فهم شخصياتنا لها تقدم نفسها لنا كمادة فى إطار الزمان والمكان عندما نقرأ ذلك فإننا لابد وأن نزن المصادر التى اعتمد عليها رانجاناثان فى تحديد نظرياته ـ خاصة عندما نعرف أن ذلك الفيلسوف غربى اقترب أكثر ما يكون من الجوانب الهندية والبوذية. ويعبر رانجاناثان عن أفكاره بعاطفة جياشة وبلغة تصويرية رقمية حية وخلاص شبه مقدس. هذا المزيج الشخصى عندما يضاف إلى أسس منطقية سليمة لكثير من الأفكار يساعدنا فى فهم تأثير رانجاناثان العميق فى المجال وتكوين نظريات المتخصصة.

ورانجاناثان بين المكتبيين ـ بالمقاييس البيوجرافية والعلمية ـ هو أطولهم قامة وأعرضهم اكتافاً، وبعده يأتى ملفل ديوى فى المرتبة الثانية ولكن على بعد خطوات كثيرة منه.

وهناك ثلاثة أسئلة تبرز حول الخريطة الوجهية سوف نحاول الاجابة عليها من هذا البحث أولها: هل الوجوه الخمسة PMEST تغطى فعلاً كل المفاهيم؟ والاجابة على هذا السؤال هى لا على ضوء المزيد من الأبحاث التى تتم فى الوقت الحاضر. والثانى هو إذا واجهتنا صعوبة فى تحديد ما هى الشخصية وما هى المادة فى الوثيقة التى نصنفها؟ والاجابة هى أن نظام التصنيف الحالى (الشارحة) يتولى عمليا توجيهنا إلى ما هى الشخصية وما هى المادة. والسؤال الثالث هو هل أسلوب تداعى الأوجه أى طريقة ترتيب الموضوعات فى هذا التصنيف هو دائما الأفضل؟ والاجابة ليس بالضرورة أن يكون الأفضل أو الأحسن. رانجاناثان نفسه أجاب على هذه الأسئلة بطريقة غير مباشرة بنفس هذه الاجابات فى مقدمته للتصنيف عندما أدخل الدورات والمستويات فى الأوجه والتى تسمح للأوجه بأن تظهر أكثر من مرة وبترتيبات متفاوتة طبقا لمتطلبات أو احتياجات كل قسم رئيس من أقسام المعرفة البشرية. وعلى سبيل المثال عند تحليل موضوع دقيق جدا ومتطور ظهرت الشخصية مرتين قبل تركيب الطاقة هنا يقال بتركيب مستوى ثان للشخصية. ومن ناحية أخرى فلو كان المطلوب هو تركيب شخصية أخرى بعد الطاقة، فإن هذا يعنى دورة جديدة للخريطة. وتصبح الطاقة هنا هى محور الارتكاز فى هذه الحالة. ولذلك فإن علامة الطاقة (:) هى التى سمى النظام باسمها (الشارحة). ولكن هذه الأفكار جميعا لابد وأن تصب فى أمثلة توضيحية:

المثال الأول
(من قسم x الاقتصاديات)

الموضوع	الاقتصاد فى الولايات المتحدة
التحليل اللفظى للمفهوم	الاقتصاد / الولايات المتحدة
الأوجه الموجودة	المكان فقط (فالاقتصاد هو القسم الرئيسى)
رقم التصنيف	X 73
التعليق	مثال بسيط

المثال الثانى
(من قسم S علم النفس)

الموضوع	متاعب كبار السن
التحليل اللفظى للموضوع	كبار السن / متاعب
الأوجه الموجودة	الشخصية والمادة
رقم التصنيف	S, 38; 56
التعليق	فى الطبعات الأولى كانت المتاعب تعتبر من «الطاقة»

المثال الثالث
(من قسم y علم الاجتماع)

الموضوع	منع الفقر
التحليل اللفظى للموضوع	الفقر / منع
الأوجه الموجودة	المادة والطاقة
رقم التصنيف	y; 435 :5
التعليق	جرت العادة على اعتبار الفقر «طاقة». كما هو الحال فى المثال الأول هذا المثال يدل على أن الشخصية ليس من الضرورى أن تكون موجودة دائماً.

المثال الرابع
(من قسم ٢ علم المكتبات)

الموضوع	إدارة مجموعات المخطوطات فى المكتبات الأكاديمية البريطانية فى الوقت الحاضر.
التحليل اللفظى للموضوع	المكتبات الأكاديمية / المخطوطات / الادارة / بريطانيا / التسعينات.
الأوجه الموجودة	الشخصية ـ المادة ـ الطاقة ـ المكان ـ الزمان
رقم التصنيف	2.3 ; 12 :8 .56 , N 6
التعليق	مثال نادر يضم الوجوه الخمسة للموضوع.

المثال الخامس
(من قسم v العلوم السياسية)

الموضوع	عمل رئيس الوزراء البريطانى
التحليل اللفظى للموضوع	السياسة البريطانية / رئيس الوزراء
الأوجه الموجودة	الشخصية مرتان ومن ثم يوجد مستويان للشخصية 2,1
رقم التصنيف	V, 56,21
التعليق	مثال على تتابع مستويات الشخصية.

المثال السادس
(من قسم L الطب)

الموضوع	علاج السل الرئوى بأشعة اكس
التحليل اللفظى للموضوع	الرئتان / السل / العلاجيات / أشعة اكس
الأوجه الموجودة	الشخصية ـ المادة ـ الطاقة ـ الشخصية مرة أخرى
رقم التصنيف	L, 45; 421: 6253
التعليق	مثال مركب فى ثلاثة وجوه ومستويين للشخصية.

ويجب أن نلاحظ أن ما يحدد الشخصية أو المادة أو الطاقة إنما يختلف من وثيقة إلى أخرى طبقا «للمادة الخام» لكل قسم فى التصنيف. وهى أيضا تختلف من طبعة لطبعة. والتمييز بين الدورات والمستويات سهل المنال ويساعدنا على تصنيف وثائق بعينها. وهى لحسن الحظ قليلة ـ تلك الوثائق التى يتعدد فيها الوجه الواحد وكما تساعدنا على الحفاظ على ترتيب الموضوعات.

ومن الأمثلة التى تناولناها نجد أن أهدافا يمكن تحقيقها بطريقة أكثر مرونة وعلى سبيل المثال:

إدارة المكتبات الأكاديمية	2,3:8
العلاجيات	L: 6
الفقر فى القرن التاسع عشر	y; 434' M

ويجب أن نلاحظ أن ثمة إصراراً على الترتيب المنطقى للموضوعات وذلك بفضل السيطرة الصارمة على تداعى الموضوعات ومن خلال التطبيق الواعى لمبدأ القلب والذى عن طريقه يعاد ترتيب الأوجه بطريقة عكسية بنفس المنطق. وعندما نسترجع مبدأ القلب التى يتحقق بواسطة اسلوب الترتيب فلابد من أن نعرف رانجاناثان يكون قد استعان فيه بمؤشرات الوجه وليس بعلامات رقم التصنيف. وهكذا فإن من الممكن أن نأخذ أى قسم فى التصنيف وليكن X ونفترض أى تجميع ممكن بتطبيق الوجوه الخمسة فإن نظام الترتيب سيكون على الوجه الآتى:

الزمان	x
المكان	x
الزمان ـ المكان	x
الطاقة	x
المكان ـ الطاقة	x
الزمان ـ المكان ـ الطاقة	x

وهكذا حتى يتم ترتيب كل التكوينات الممكنة لأية وثائق مصنفة. ويمكن أن تمتد هذه التفريعات لتشمل المادة والشخصية. ولكن يجب أن نتبنه إلى أنه على أرض الواقع لن تحدث كل التكوينات. ولكن الناتج الفعلى هو تركيز التجميع فى الشخصية مع تشتت بسيط فى المادة وتشتت أكبر تحت الطاقة وأكبر منه تحت المكان وأعظم منه تحت الزمان. والمثال الذى سقنا. يكشف عن أن التصنيف تحت الطاقة له الأولوية على التصنيف تحت المكان والزمان.

إن تصنيف الشارحة يعج بالأفكار العظيمة ولكن فى هذا البحث القصير تبرز بعض النقاط الرئيسية ومن بينها نقطة التمييز بين الموضوع المركب والموضوع المعقد كما سماه رانجاناثان بنفسه. إن التحليل الوجهى هو «ربط عناصر الموضوع المركب. أما الموضوعات المعقدة فهى نادرة وتحدد بواسطة التحليل المرحلى وليس الوجهى. وهذا التمييز بينهما إنما يساعد التصنيف على التعامل مع كل منهما بما يتطلبه وأن يميز بين طبيعة العلاقات المعقدة فى الوثائق المصنفة مثل «تأثير الفلاسفة على الأدب الألمانى» أو «مؤشرات الأداء فى الإدارة: دليل المربين» وحيث تربط الأفكار من خلال التعابر بين

مجالات عدة. والنقطة الثانية هى أن هذا التصنيف إنما تتم مراجعته وتنقيحه من خلال المصنف نفسه كل على حدة حيث أنه يقوم بتركيب رقم أى موضوع جديد بنفسه ولا ينتظر حتى يقوم واضع التصنيف باصدار طبعة جديدة تتضمن الموضوعات التى استجدت على الساحة كما هو الحال فى تصنيف ديوى العشرى مثلا. إن هذه الفكرة الجريئة والأكثر من طموحة، تربط الأرقام إلى أفكار معينة ـ وعلى سبيل المثال المال يربط إلى رقم ٦ والمرأة تربط إلى رقم ٥ ـ ويستطيع المصنف أن يتنبأ برقم الموضوع الجديد فى الطبعات الجديدة من التصنيف.. ولكن الأمر قد يصبح معقداً لو أن مجموعة أو عدة أفكار تزاحمت على رقم واحد فى وقت واحد وكلها ترتبط فلسفيا به. إن هذه النقطة تثار فقط لمعرفة قدر تصنيف الشارحة على التصانيف الأخرى.

يرى كثيرون أن تصنيف الشارحة يستعصى على الفهم ومن ثم يستعصى على التطبيق والممارسة ولكن هذه المشكلة غير مستعصية على الحل، إنه يمكن أن يفهم ويمكن أى يطبق كسائر التصانيف ولكنه يحتاج حقاً إلى تأن فى فهمه ودربة على تطبيقه واستخدامه. فهو لا يقدم فقط درجة عالية من التخصيص فى اختيار الموضوعات الدقيقة المباشرة ولكنه أيضا يتحكم فى تسلسل وتداعى الموضوعات، وهى جميعا تقدم فى جعبة واحدة متماسكة كما يسمح الترقيم بادخال موضوعات جديدة إلى حد مذهل. ورغم الطاقة الواسعة للعناصر التى تمدنا بها الجداول والتى يمكن التركيب منها فإنها تظل فى حدودها لا تتضخم. ومن الظلم أن نصفه بالتحيز للشرقيات كما نتهم التصنيف العشرى وتصنيف مكتبة الكونجرس بالتحيز للغربيات والأمريكانيات.

نعم هناك نقاط ضعف ومن بينها: الاعتماد الأساسى على إمكانيات المصنف ومستواه الفكرى وطاقاته. وعلامات الترقيم غير المريحة حيث من الصعب التمييز بين الشارحة وشبه الشارحة والفاصلة والنقطة والواوية. كذلك فإن مما يؤخذ عليه التغيير السريع بين طبعة وأخرى. ولقد قيل بأن أعمال رانجاناثان فى الفهرسة تعكس احساساً قويا بالمفهرسين وعينا يقظة على المستفيدين إلا أن انجازاته فى تصنيف الشارحة زائد الطموح. ومهما يكن من أمر فإن هذا التصنيف يمثل اصراره على ألا ينحرف عن الطريق المثالى الذى اختطه لنفسه ومعاييره العليا التى لا ينزل عنها. وإن دينه للتصنيف العشرى العالمى واضح لامراء فيه ولكن رغم أن به ملامح لا توجد فى التصنيف العالمى فقد كان رانجاناثان على حق عندما قال «إنه لم يذهب إلى آخر الشوط فى إعادة تصميم أسس

التصنيف طالما أنه بنى عمليات التركيب فيه على النظام الحصرى الموجود فى تصنيف ديوى». ومن الواضح أن نظام الشارحة يدخل فى منافسة حادة مع العشرى العالمى وليس مع تصنيف مكتبة الكونجرس أو تصنيف ديوى، فهو يصلح لترتيب الكتب على الرفوف لسلاسة ترقيمه. وكم كان يعتقد رانجاناثان أن نظاماً واحداً للتصنيف بمقدوره أن يؤدى وظائف عديدة ومقولته الشهيرة بأن ظهر الفيل الذى يتحمل الأحمال الكبيرة والصغيرة بنفس الدرجة من السهولة نادراً ما يكون فيلا جيداً والنظام التصنيفى متعدد الأغراض نادراً ما يقوم بالوظائف جميعا بدرجة اقتصادية. ويبدو أن تراث تصنيف الشارحة ينتمى إلى الأنظمة الوجهية الحديثة عميقة النظرية والفلسفة. كما أنه يمثل تحديا للأنظمة الأخرى: لقد كانت هناك تغييرات حقيقية فى التصنيف العشرى والعشرى العالمى عبر السنوات وهى مدينة بعض الشئ إلى رانجاناثان سواء تم الاعتراف بذلك أم لا. وفيما يتعلق بتعلم استعمال تصنيف الشارحة إلى أبعد حد فإن السر يكمن خلف الفكرة أساساً والتى تنساب فى العمل كله، كما يكمن فى الوسائل المساعدة على التذكر. إن المصنف يجب أن يفكر بطريقة رانجاناثان حتى يسيطر على تصنيفه وإذا لم يعجبنا ذلك فلنتذكر متطلبات الحاسب الآلى وبرامجه التى يجب أن نخضع لتعليماتها وقواعدها فى كل شئ حتى ننجح فى الاختزان والاسترجاع. والحقيقة التى لا مراء فيها أن الممارسة والمران هما مفتاح النجاح فى هذا التصنيف وغيره.

والحقيقة أن هذا التصنيف على المستوى الدولى لم يأخذ حظه من الانتشار فهو لم يستخدم إلا فى عدد قليل من المكتبات، رغم أن مكتبات أخرى تكبره وتحترمه وكثيرون جدا تجاهلوه وأهملوه. وليس كل المصنفين مقتنعين بقيمة التصنيف الوجهى. ومع هذا فإن فكرة تحليل المفهوم قريبة جدا مما يفعله كل المصنفين أو ما يجب أن يفعلوه عندما يطبقون أى نظام آخر. وإن هؤلاء غير الراغبين فى تصنيف الشارحة يجب أن يعلموا إن قليلا من الدرس له أو لأى تحليل مشابه هو فى الواقع تدريب قيم للغاية فى تقرير تحديد الموضوعات والسياق الذى تسير فيه عناصره الوجهية

إن تطوير الشارحة يسير على قدم وساق فى الهند موطنه وهو مطبق فى عدد من المكتبات كما يدرس بالتفصيل فى جميع مستويات دراسة علم المكتبات والمعلومات هناك. ومع ذلك فإن عدداً من التساؤلات يثار حتى هناك فى الهند. ففى سنة ١٩٨٩ كتب م ب ساتيجا فى مقدمة عملية للطبعة السابعة يبدو فيها أنه فقد إيمانه فى هذه

الطبعة وكيف أنها تبعد كثيرا عن احتياجات المصنفين الممارسين ومهنة المكتبات كلها. ومما يجدر ذكره أن تصنيف الشارحة ليس له جهاز تحرير رسمى وليس هناك أية مساعدة من جانب المهنيين فى تطويره ولو على نطاق محدود. وبدون تفاعل المكتبيين ومعاونتهن فإن هذا التصنيف قد يفقد أرضه فى السوق رغم خصائصه الفذة الممتازة.

لقد عاش رانجاناثان فترة فى عصر الحاسب الآلى وتكنولوجيا المعلومات (توفى ١٩٧٢) وهو عندما وضع تصنيفه الوجهى قبل عصر الحاسب بزمان فإنه كان يستشرف هذا العصر.

وتقوم أنظمة التصنيف العامة الأخرى بدراسة جوانب الدخول إلى عصر الحاسب وتكنولوجيا المعلومات وتحميل النظام على الآلة اختزانا واسترجاعاً. ولكن بعد موت رانجاناثان وعدم وجود هيئة تحرير رسمية للنظام فإن هذا التصنيف لم يدخل إلى حلبة الحاسبات الآلية رغم أن العديد من ملامح هذا النظام تسهل استخدام الآلة فيه اختزانا وتحديثا واسترجاعاً.

وعلى الرغم من بعض التحفظات النابعة من أن النظام يحمل نفسه أعباء أداء وظائف عديدة تتنافس فى أولوياتها، فإنه يمكن أن يقوم بها. إن تقدم هذا التصنيف فى بلده تقدم بطئ للغاية رغم الامكانيات الهائلة التى يمكن أن يؤثر بها على نظم استرجاع المعلومات تأثيرا مباشراً أو غير مباشر حاليا ومستقبلاً بما فى ذلك الأنظمة الآلية التى نعتمد تصنيف الأفكار والمفاهيم إلى درجة معقولة. ونقدم فيما يلى الخطوط العامة لهذا التصنيف:

- الرموز الأولية

الرموز الأولية المستخدمة فى (تصنيف الكولون) هى الرموز التالية، وتسير كما لو رتبت فى تتابع تصاعدى حسب الرتب الأساسية المثبتة فى الخطة:

(O,.:; - a b c d e f g h i k m n p q r s t u v w x y z 1 2 3 4 5 6 7 8 9 A B C D E F G H I J K L M Δ N O P Q R S T U V W X Y Z)

وكما أنه يمكن التعبير عن أية فكرة فى اللغة الإنكليزية بواسطة كلمات تشكل من ألـ ٥٢ حرفاً فى أبجديتها، فإن الترجمة الكولونية لاسم أى موضوع يمكن أن تحدث

بواسطة أرقام التصنيف Class Numbers، التى يمكن تكوينها من ألـ ٦٨ رمزاً الأساسية السابقة.

إن القيمة المكانية للرموز فى رقم التصنيف تكمن فى التقسيم العشرى، وعلى سبيل المثال فإن الرقم ٢٣٧ سوف يأتى بين الرقمين ٢٣ ، ٢٤ ، والرقم VI: 3 سوف يأتى قبل VI - 3 ، والرقم V2: 2Mg يأتى قبل الرقم V2: 2, N3 .

وبمعنى آخر، فإن الكسر العشرى يجب أن يؤخذ كما هو مفهوم فى بداية كل رقم تصنيف.

- **الرتب أو الأقسام الرئيسية:**

نشرح الآن بإيجاز الطريقة التى يترجم بها اسم الموضوع إلى رقم الشارحة، كما أنها ستظهر بطريقة عرضية الدور الذى يلعبه الرمز (:)، وغيره من علامات الترقيم، والسبب الذى من أجله سميت الخطة بتصنيف الشارحة، إن الجداول التالية تعطينا الأقسام الرئيسية التى تنقسم إليها المعرفة البشرية بكاملها:

h -z	الكتب العامة.
1	عالم المعرفة.
2	علم المكتبات.
3	علم الكتاب.
4	الصحافة.
A	العلوم (عامة).
AZ	العلوم الرياضية.
B	الرياضيات.
BZ	العلوم الفيزيائية.
C	الفيزياء.
D	الهندسة.
E	الكيمياء.
F	الصناعات.
G	علم الحياة.

H	علم الجيولوجيا.
HZ	علم المعادن.
I	النبات.
J	الزراعة.
K	علم الحيوان.
KZ	تربية الحيوانات.
L	الطب.
M	الفنون التطبيقية.
MZ	العلوم الإنسانية والاجتماعية.
MZA	العلوم الإنسانية.
Δ	التجربة الروحية والتصوف.
N	الفنون الجميلة.
NZ	اللغة والآداب.
O	الآداب.
P	اللغات.
Q	الديانات.
R	الفلسفة.
S	علم النفس.
SZ	علم الاجتماع.
T	التعليم.
U	الجغرافيا.
V	التاريخ.
W	العلوم السياسية.
X	الاقتصاديات.
XZ	الإدارة.
Y	علم الاجتماع.
Z	القانون.

- **الخطوة الأولى:**

الخطوة الأولى فى التصنيف هى تقرير الفرع الرئيسى من المعرفة، الذى ينتمى إليه موضوع الكتاب.

إن رمز القسم الأساسى المحدد هو أول عدد فى رقم التصنيف، ويستقى من الجداول المذكورة أعلاه.

وفيما يلى مجموعات من الأمثلة:

المجموعة (١) هى:

11 الطب
12 التشريح
13 فسيولوجيا الإنسان
14 الجهاز الهضمى
15 تشريح الجهاز الهضمى
16 فسيولوجيا الجهاز الهضمى
17 الطب الباطنى
18 تشريح الجهاز الباطنى
19 الفسيولوجيا الباطنية

المجموعة (٢):

21 التعليم
22 النظام التعليمى
23 القياس التربوى
24 التصحيح
25 التعليم الجامعى
26 تنظيم الجامعات
27 القياس فى التعليم الجامعى
28 التصحيح فى امتحانات الجامعة
29 التصحيح فى امتحانات مجموعة الامتياز[1]

(١) منهج دراسى مخصص للطلاب المتفوقين بدلاً من المنهج العادى أو علاوة عليه.

المجموعة (٣) :

31 التاريخ السياسى للإمبراطورية البريطانية حتى نهاية القرن التاسع عشر.
32 التاريخ السياسى للهند حتى نهاية القرن التاسع عشر.
33 التاريخ الدستورى للهند حتى نهاية القرن التاسع عشر.
34 التاريخ الدستورى للهند حتى بداية الحرب العالمية الثانية.
35 تاريخ التشريع فى الهند حتى بداية الحرب العالمية الثانية.
36 تاريخ الحكام الضعاف فى الهند حتى بداية الحرب العالمية الثانية.
37 تاريخ التشريع فى مدارس حتى بداية الحرب العالمية الثانية.
38 تاريخ الحكم الضعيف فى مدارس حتى بداية الحرب العالمية الثانية.
39 تاريخ المجلس المحلى لضاحية تانجور إلى بداية الحرب العالمية الثانية.

ونرى بسهولة أن موضوعات المجموعة I تنتمى إلى القسم الرئيسى (الطب) ويأخذ (L) كعدد أول فى رقم التصنيف الخاص بها.

إذا توقفنا فى التصنيف عند هذا الحد فسوف تجد كل الكتب فى الموضوعات المختلفة التى وردت فى المجموعة I تحمل رقم التصنيف نفسه، وسوف تختلط ببعضها على رفوف المكتبة.

ولهذا السبب فإن القسم الرئيسى (الطب) يجب أن يقسم أكثر من ذلك والحقيقة أن كتاباً ما فى الطب قد يمثل وجهين، الأعضاء والمشكلات. وبناء عليه فإن جدول الطب فى تصنيف الكولون سيطالعنا بصياغة الأوجه على النحو التالى:

L (P) : (E) (2P)

ويمكن تفسيرها على الوجه الآتى:

(الشخصية = الأعضاء) : (الطاقة = المشكلة) (الوجه الثانى للشخصية).

- الخطوة الثانية:

الخطوة التالية فى التصنيف هى إحلال المصطلحات الخاصة التى تخرج بها من الموضوع الذى نصفه محل المصطلحات العامة الواسعة.

لنأخذ الموضوع ١٩ فى المجموعة I

فى هذه الحالة ستصبح الصيغة:

(فسيولوجيا) : (الطب الباطنى).

وقد جرت العادة على أن نتحدث عن (الطب الباطنى) بوصفه البؤرة فى الشخصية أى وجه العضوية، وعن (الفسيولوجيا) بوصفها البؤرة فى الطاقة أى وجه المشكلة.

- الخطوة الأخيرة:

الخطوة الأخيرة هى ترجمة هذه العبارات إلى أرقام بالاستعانة بجداول الأعضاء والمشكلات المذكورة فى الفصل الذى يبحث فى الطب فى القسم الثانى من تصنيف الشارحة.

وهكذا نحصل على رقم التصنيف : L 25 : 3 [1]

والموضوع (16) فى المجموعة يعطينا تباعاً:

L (الجهاز الهضمى) : (الفسيولوجيا).

أما الموضوع 9 ففيه بؤرة أشد من ناحية الشخصية أى وجه الأعضاء عنه فى الموضوع 16.

والموضوع 13 فى المجمومعة يعطى تباعاً:

L(خالية) : (الفسيولوجيا) و L : 3

هذا الموضوع ليس فيه بؤرة فى الشخصية أى فى وجه الأعضاء بينما الموضوعات الثلاثة ١٣ و١٦ و١٩ كلها فيها بؤر على الدرجة نفسها من الشدة فى قوتها مثل أوجه المشكلة.

والموضوع II كل من بؤرتيه خاليتان، ولذا فإن رقم تصنيفه هو L فقط.

أما صيغة الأوجه للتربية فهى: T (P) : (E) (2P) ذلك أن Tهى (الشخصية أى المتعلم) : (الطاقة أى المشكلة) (الشخصية الدائرية الثانية).

(١) تراجع جداول تصنيف رانجاناثان.

وصيغة الأوجه للتاريخ هى: (T) , (E) : (P) V وتفسيرها هو أن V (الشخصية = المنطقة الجغرافية) : (الطاقة = المشكلة) ، (الزمن) .

بهذه الصيغ وبمساعدة الجداول المذكورة نتكون أرقام الموضوعات السبعة والعشرين المعطاة أعلاه قد بنيت كما يلى:

طريقة تركيب أرقام الموضوعات:

11	L	21	T	31	VI - 3 : 1'Mg
12	L : 2	22	T : 8	32	V2 : 1'Mg
13	L : 3	23	T : 87	33	V2 : 2'M3
14	L2	24	T : 875	34	V2 : 2'M3
15	L2 : 2	25	T4	35	V2 : 3'N3
16	L2 : 3	26	T4 : 8	36	V2, 31'N3
17	L 25	27	T4 :87	37	V21, 3'N3
18	L 25 : 2	28	T4 : 875	38	V21, 31,N3
19	L 25 : 3	29	T43: 875	39	V2114, 3'N3

* * *

خامسا: التصنيف الببليوجرافى

وضع هنرى إيفلين بليس أسس هذا التصنيف فى مجلدين كبيرين. وفى هذين المجلدين وضع الأسس المتينة للتصنيف وقد اعترف أن اعادة بناء أى تصنيف يجب أن تسبقها عملية هدم أو ازالة لكل العوائق. ومن هذا المنطلق وضع كتابه العظيم «تنظيم المعرفة ونظام العلوم» سنة ١٩٢٩ والذى سجل فيه تصوره لبنية المعرفة وسجل فيه اعترافه بفضل الفلاسفة والعلماء الذين سبقوه. أما عمله الذى نشره سنة ١٩٣٣ بعنوان «تنظيم المعرفة فى المكتبات» فقد ناقش فيه أسس التصنيف الببليوجرافى والترقيم ونقد أنظمة التصنيف الموجودة والأخطاء الأساسية فيها. إن أفكار بليس التى أودعها فى هذين

العملين ترجع يقينا إلى مطلع هذا القرن أى العقد الأول منه ومع ذلك فإن تصنيف بليس لم يكن قد أكتمل حتى طـ ١ فى ١٩٥٣. ويمكن اعتبار طبعته الأولى قد نشرت فى حياته والطبعة الثانية المنقحة والمراجعة نشرت بعد مماته.

لقد كانت هناك رغبة واسعة للمكتبات فى التصنيف الببليوجرافى حال حياة بليس وبعيد وفاته وكانت هناك مائة مكتبة على الأقل تتبنى هذا العمل. وكان بعض هذه المكتبات جديداً وبدأ تصنيف مجموعاته بهذا النظام. وبطبيعة الحال كان معظم تلك المكتبات بريطانيا وكانت تستخدم النظام الكامل بكل تفاصيله. وكان الناشر ويلسون قد نشر كتيباً تضمن مراجعة وتنقيحا لهذا النظام وفى الستينات تحمس لهذا التصنيف إثنان من المكتبيين وأخرجا طبعة مختصرة منه للمكتبات المدرسية عرفت بعنوان «ا ب ج مختصر التصنيف الببليوجرافى» وقد استخدمت هذه الطبعة المختصرة فيما لا يقل عن ٣٠ مكتبة مدرسية ولكنها تصلح لأنواع أخرى من المكتبات. وإذا كان لها أن تستخدم مستقبلاً فلابد من تنقيحها بين حين وآخر. وفى سنة ١٩٦٧ أنشئ «إتحاد تصنيف بليس» وخطط جاك ملز المتحمس لهذا التصنيف لاصدار طبعة جديدة منه تعرف بالتصنيف الببليوجرافى الثانى» وهذه الطبعة الجديدة بنيت أساساً على نفس ترتيب الطبعة الأولى ولكن على أساس التحليل الوجهى الكامل والدقيق داخل كل قسم رئيس وهو، الفكرة الرئيسية التى قام عليها التصنيف الببليوجرافى فى طبعته الأولى.

وسوف نعالج هنا بعض ملامح التحليل الوجهى فى هذا التصنيف لابراز جانب من خصائصه فقط:

أولا: يوجد فى هذا التصنيف فكرة الحصر أوكما قال عنه بليس نفسه الحصر العلمى والتعليمى. الحصر بمعنى الطريقة التى نعرف بها أن التصنيف الفعال لابد وأن يبنى بأسلوب كيف؟ عن كيفية تداعى جزئيات المعرفة وتسلسلها المنطقى والطريقة التى تدرس بها الموضوعات فى الكليات والجامعات. وكان بليس يرى أن المصنف لابد وأن يبرز ويتعامل مع هذا التسلسل فى تصنيفه وفى كل موضوع بداخله. وكان بليس مقتنعا بأن هذا الحصر ثابت نسبياً ويتطور فى اتجاه الثبات أكثر كلما أصبحت الموضوعات تقليدية وراسخة. وقد يجادل النقاد فى مدى صحة مقولة الثبات النسبى للحصر وهل

يبقى الثبات طويلاً وكيف يراه بليس على هذه الصورة. ومن هذا المنطلق قدمت الطبعة الأولى من التصنيف الببليوجرافى تسلسلاً وتداعيا علمياً وعمليا فى كثير من الأقسام. ويساعد مبدأ الحصر هنا مبدأ آخر هو: ـ

ثانيا: الترابط والتفريع. والترابط ببساطة يعنى جمع المجموعات المتجانسة معاً حيث توجد بينها علاقات قوية يعكسها هذا التسلسل النهائى. ومثال واحد من هذا التصنيف يعكس فكرة الترابط حيث ربط بليس بين بعض (وليس كل فى الواقع) العلوم البحتة وتطبيقاتها المناسبة، كذلك ربط معاً العلوم الإنسانية والبيولوجيا البشرية والانثروبولوجيا، والصحة والطب. والتفريع يعنى ببساطه تداعى الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية والتسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الكبيرة. وقد استخدم بليس فكرة التفريع استخداما خاصاً تحت مسمى «التداعى بالخصوصية». وفكرة التداعى بالخصوصية استقاها بليس أساساً من الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت، الذى وضع نظام تصنيف للمعرفة الانسانية فى القرن التاسع عشر. وهذه الفكرة تعنى أنه على الرغم من أن عدداً من الموضوعات الصغيرة تتساوى فى الدرجة إلا أن بعضها بطريقة أو بأخرى أكثر تخصصاً لأنه يعتمد على نتائج الموضوعات الأخرى ومن هنا فإنه يعتمد فى وجوده على تلك الموضوعات الأخرى وهذه الموضوعات «العالة» يجب أن تتبع ولا تسبق الموضوعات «العائلة». وكانت نتيجة ذلك تسلسلاً أكثر من رائع ومنطقيا إلى حد كبير لأقسام وشعب وفروع هذا التصنيف. والمخطط العام لهذا التصنيف يسير على النحو الآتى:

2	العموميات	I	علم النفس
3	موضوعات الظواهر المتداخلة	J	التربية
6	علم المعرفة	K	المجتمع
7	علم المعلومات	LA	دراسات المناطق
A	الفلسفة والمنطق	LB	الجغرافيا
AM	الرياضيات	LC	السياحة والرحلات
AY	العلوم الطبيعية	LD	التاريخ
B	الفيزياء	P	الدين

C	الكيمياء	G	الخدمة الاجتماعية
D	علم الفلك	R	السياسة
DH	علوم الأرض	S	القانون
E	علوم الأحياء (عموما ماعدا البشرية)	T	الاقتصادوالإدارة
GY	علوم البيئة	U / V	التكنولوجياوالعلوم التطبيقية
H	علوم الانسان ودراساته	W	الفنون الجميلة
HA	علم الأحياء البشرى	X	اللغات
HH	الصحة والطب		

وكان بليس على يقين من أنه لايوجد تسلسل واحد يرضى كل المصنفين.

ثالثا: المواضع البديلة. ويعتبر ذلك من الملامح الطيبة فيه، لأن بليس أدرك عمق الخلاف فى وجهات النظر والاحتياجات المتفاوتة ولذلك عمد إلى تقديم موضعين أو ثلاثة أو أكثر لبعض الموضوعات التى تحتمل ذلك؛ أحدها يختار ويترك الآخر أو الأخرى خالية وعلى سبيل المثال. التاريخ الاقتصادى يمكن أن يدرج فى التاريخ العام أو يدرج فى الاقتصاد.

وكما هو الحال فى الطبعة الأولى فضل بليس أن يضع الدين فى حرف P بعد التاريخ مباشرة لارتباطه الوثيق به وكذلك الأخلاق والخدمات الاجتماعية وقد قدم لهما بديلا مع الميتافيزيقا A حتى يتيح للدين فرصة للتوسع فى حرف P . وهذه المواضع البديلة فى تصنيف بليس فيها جرأه رغم الصداع الذى تسببه لواضع التصنيف والمصنف الممارس. وقد تعرضت تلك المواضع البديلة لانتقادات عنيفة. والحقيقة أنه يجب على كل مكتبة على حدة أن تقرر لنفسها أى أسلوب تختار بشرط أن تستمر على «الموضع الواحد» طوال ممارستها لهذا التصنيف فمن غير المعقول أن يوضع تاريخ الاقتصاد مرة فى التاريخ العام ومرة أخرى تحت الاقتصاد فى المكتبة الواحدة.

رابعا: الترقيم المختصر. ولذلك استخدم بليس منذ البداية الحروف أساساً لأنها تمده بمساحة أوسع للأقسام الرئيسية، كما استخدم الأرقام للموضوعات العامة على نحو ما رأيناه سابقاً.

خامسا: القدرة على التركيب أو مايسمى فى تصنيف ديوى بناء الأرقام وهو مايسميه بليس فى كتبه «التخصيص المركب» إذ قدم بليس عدداً من الجداول الخاصة بهذا الغرض. بعضها للاستخدام العام أى يصلح مع كل الموضوعات، بعضها يستخدم فقط فى أغراض خاصة. والمتأمل فى بعض الجداول المساعدة يجد أنها قد أضيفت على عمل متأخرة عن التصنيف الأم ولا تنسجم مع الغرض الذى وضعت من أجله فى كثير من تفاصيلها. وعندما يكون التفصيل مطلوباً تتقاعس هذه الجداول عن امدادنا بتلك التفاصيل. ومن المعروف عن هذا التصنيف أن الرقم الأساسى فيه قصير ودال كما أن فيه خصائص مساعدة على التذكر على الرغم من حرص بليس على ألا يكسر السياق المنطقى من أجل إفتعال تلك الوسائل المساعدة على التذكر. والحقيقة التى لايمكن انكارها أن الترقيم الكامل إذا ما أضيفت إليه التوسعات فإنه يصبح مزعجا ومربكا.

ومع ذلك فإن هدفنا الأصلى هنا هو أن نختبر التطورات الأساسية التى دخلت على الطبعة الأولى كما تركها بليس والتى ستكون عليها الطبعة الثانية. وحتى هذه اللحظة (صيف ١٩٩٥) فإن التعديلات والتطويرات لم تدخل أساساً إلا على العلوم الاجتماعية بما فى ذلك التربية. أما الدين والأخلاق والعلوم الصحية والتى تمثل فى الواقع قطاعا كبيرا والاقتصاد والادارة فإنها لم تجر عليها التطويرات حتى الآن ولم تظهر حتى اليوم وآخر ما نشر من هذا التصنيف فى طبعته الثانية هو قسم التربية الذى حرره ونفحه فوسكت وزوجته. ولقد حدثت طفرة حقيقية فى استخدام التحليل الوجهى بالأقسام التى نشرت عن طريق التسلسل الموحد أو القياس كلما أمكن ذلك. وهذا الأسلوب يساعد حقيقة فى القدرة على التنبؤ ويسهم فى تكامل التصنيف ويجعل منه نظاما صالحا للاسترجاع الآلى للمعلومات. لأنه عن طريق استعراض تسلسل الموضوعات يمكننا معرفة الروابط التى يربطها وكيف تم توزيع تلك الروابط. وفى الطبعة الجديدة نجد كمية أكبر من المواضع البديلة عما كان فى الطبعة الأولى. كما تم تحسين قوائم الشكل والصورة وتطوير قوائم الأماكن كما أعيد توزيع بعض الموضوعات فى القسم العام (المعارف العامة) وهو القسم الوحيد كما أشرنا الذى رقم بأرقام وقد سماه بليس القوادم المرقمة بأرقام anterior numeral classes. وقد ساعد ذلك كثيرا فى معالجة «الظواهر»،

ومعالجة الكتب التى تناقش مختلف الجوانب فى موضوع متعدد الجوانب مثل «الفحم» أو «الماء» ومن هنا تجمع كل جوانب الموضوع الواحد فى هذا المجال بدلاً من بعثرتها وتشتتها تحت أماكن ومجالات متعددة. ومن الواضح أن هذا الاتجاه فى التحليل قد تأثر بنظريات رانجاناثان وغيره ممن آمنوا بالتصنيف الوجهى وعلى رأسهم «جماعة أبحاث التصنيف فى بريطانيا».

سادساً: ثمة ملمح غير مخيف كما يبدو من اسمه وهو «الجداول المقلوبة» التى تساعد فى تحقيق نوع من التركيب العكسى. وهذا معناه أن الوجه الأهم فى أى قسم يأتى كآخر عنصر فى هذا القسم ولذلك فإنه عندما يعرف أو يوصف عن طريق وجه آخر سابق عليه يصبح الترقيم فى هذه الحالة مقلوبا أو عكسيا يوحى بظهور وجه جديد فى رقم التصنيف بقلب حرف سابق من الأبجدية. وقد تم شرح هذا المبدأ باستفاضة فى الجداول نفسها وفى مقدمة التصنيف وفى الكتابات التى نشرت حوله. ولعل أهم من كتب فى هذه الجزئية هو جاك ميلز. كما نشر دليل منفصل عن الطبعة الأولى والطبعة الثانية وضعه كل من آرثر مولتباى و لندى جيل بعنوان «قضية بليس: ممارسة التصنيف الحديث ومبادئه فى سياق التصنيف الببليوجرافى» ونشره سنة ١٩٧٩ فى لندن الناشر بنجلى. ويتضمن هذا الدليل تعليقات وشروحاً هامة على الرغم من أنه قد نشر فى فترة مبكرة من حياة الطبعة الثانية التى لم تكتمل حتى الآن.

ولابد من أن نضع فى اعتبارنا أن التصنيف المفصل هو عملية اختيارية وليست حتمية متروكة لظروف كل مكتبة على حدة ولعل بعض الأمثلة توضح طبيعة واحتمالات التصنيف الببليوجرافى وامكانيات الطبعة الثانية. ونحرص على أن التحليل اللفظى للمفهوم ـ المزعج فى كل التصانيف ـ سيكون ضمن تلك الأمثلة. وفى حالة وجود أكثر من وجه واحد للموضوع فإن المفاهيم يجب أن تجرد أولاً ثم توضع فى تسلسلها المنطقى الوارد فى التصنيف الببليوجرافى قبل اختيار سلسلة الترقيم التى تربطها معاً. ومن الطبيعى أن تترك فراغات بين ترقيمات كل وجه وآخر أو بعد كل ثلاث علامات. وكل من هذين الأسلوبين فى كتابة الترقيمات معمول به فى التصنيف ومسموح به.

المثال الأول
(من قسم k المجتمع)

الموضوع	المناطق المنكوبة ومشاكل المعوقين فى المنطقة المحلية
التحليل اللفظى للمفهوم	المعوقون؛ المناطق المنكوبة
سلسلة الترقيمات	KOBL المعوقون؛ KANV المناطق المنكوبة
رقم التصنيف	KOBLANV
التعليق	مثال بسيط يكشف عن الترقيم العكسى على الطبيعة

المثال الثانى
(من قسم P الدين والأخلاق)

الموضوع	تراتيل الأحد الأبيض (أحد السعف)
التحليل اللفظى للمفهوم	كنيسة الأحد الأبيض؛ التراتيل
سلسلة الترقيمات	PUXPE كنيسة الأحد الأبيض؛ PDXL التراتيل
رقم التصنيف	PUXPE DXL أو الموضع البديل كما ورد فى الخطة PUXPED XL
التعليق	مثال مركب يكشف عن وجود موضع بديل للوجه

* * *

وهناك دائما فى كل تصنيف جوانب إيجاب وجوانب سلب. أما عن جوانب الإيجاب فى التصنيف الببليوجرافى فقد بذلت جهود جبارة للحفاظ على أفضل المبادئ الأصلية التى يقوم عليها أى تصنيف وجهى حديث كامل. وهناك تعليمات وإرشادات كافية فى الجداول الرئيسية والقوائم المساعدة وفى كل مكان به. وما يزال «اتحاد تصنيف بليس فى بريطانيا» نشطا فى أداء رسالته وهناك «نشرة التصنيف الببليوجرافى» التى تصدر بانتظام ويحررها الهيئات المتخصصة والمعنية والتى تساهم فى برنامج التحرير والنشر ولو أنها مساعدات قليلة إلا أنها تضيف أبعاداً هامة للمشروع.

أما عن جوانب السلب قد ضاع مستخدمو النظام لسنوات طويلة بسبب تأخر تحديث

النظام وتطويره فقد مضى ربع قرن كامل على الطبعة الثانية التى لم تكتمل صدوراً، حتى الآن. كما عانوا معاناة أخرى بسبب إدماج مكتباتهم فى وحدات تنظيمية أكبر، وذلك بدعوى الاقتصاد فى التكاليف ومركزية عمليات الفهرسة والتصنيف والتى تقدم أرقام تصنيف جاهزة طبقا لتصنيف مكتبة الكونجرس أو تصنيف ديوى العشرى. كما أن التشتت الجغرافى للمكتبات المستخدمة للنظام قد يصيب اتحاد التصنيف الببليوجرافى بالاحباط. هذا على جانب الظروف المحيطة بالنظام. أما عن مثالب النظام نفسه فإن التصنيف الببليوجرافى يقدم تفاصيل دقيقة قد يكون المستخدمون فى غنى عنها غالبا. ويجادل ميلز بأن تلك التفاصيل اختيارية وليست اجبارية ولكن لماذا يدفع المستخدمون للنظام ثمن تفاصيل لن يستفيدوا منها، ويقول ميلز بأن مثل هذه النقائص موجودة فى أنظمة التصنيف الأخرى.

* * *

لقد بدأ العمل فى الطبعة الثانية من التصنيف الببليوجرافى أوائل السبعينات وكان ميلز يرى أن العمل سوف ينتهى فى ذلك العقد. ولكن ها هو عقد السبعينات قد انتهى وعقد الثمانينات أيضا انتهى وانتصف عقد التسعينات ولم يكتمل العمل فى هذه الطبعة. بل كل ما تم انجازه هو أقل من نصف العمل. وقد يحتج فى هذا الصدد بأن السبب فى ذلك هو عجز التمويل ونقص الامكانيات وأن على مهنة المكتبات والمعلومات أن تدعم مثل هذا التصنيف الذى يحتضن مبادئ التصنيف الحديثة على أسس علمية والحقيقة أن حجم العمل كان ضخماً. وربما كان من الأفضل الانكباب على تطوير الطبعة المدرسية المختصرة التى صدرت أولى طبعاتها سنة ١٩٦٧ والخروج بتصنيف واسع ثم بعد ذلك تعمق المجالات التى هى فعلا فى حاجة ماسة وسريعة إلى التعمق والتفصيل بدلاً من السير فى التفاصيل بطريقة موازية فى كل المجالات وبالترتيب مما يعوق تقدم العمل. ومشاكل الطبعة الثانية هى نفس مشاكل الطبعة الأولى وإن اختلف الشكل أى مشكلة المشروع الكبير الذى يقوم على كتفى شخص فرد. كما أصيب مستخدمو النظام بالانزعاج الشديد ليس فقط بالتأخر فى المراجعة والتنقيح ولكن أيضا بسبب التغيير الشامل الذى حدث فى الطبعة الثانية على غير ما توقعوه وعلى غير ما تعودوا عليه من

تطبيق الطبعة الأولى. إن الطبعة الثانية تمثل طموحات أى تصنيف عموما والتصانيف الوجهية بنوع خاص ولذلك فإن التفاوتات بينها وبين الطبعة الأولى كبيرة بحيث أن بليس الشخص المحافظ لم يكن يوافق عليها لو أطلع عليها بل ولأنكرها أصلاً ولم يعرفها.

وأخيرا فإن المستقبل يحمل فى طياته تطورات هامة ومبشرة، فالاقتراح باعادة تشكيل البنية الأساسية للتصنيف العشرى العالمى باستخدام القاعدة الأساسية للتحليل الوجهى الموجودة فى الطبعة الثانية من التصنيف الببليوجرافى، سيدعم يقينا هذا التصنيف الأخير (تصنيف بليس) وهو يؤكد على القيمة الكبرى التى لهذا التصنيف والخصائص الطيبة التى يعكسها وخاصة فى بنيته العامة ومبادئ التحليل الوجهى الصلبة فيه. والمنطقية والسلاسة التى تتداعى بها التفريعات. فهذه جمعيا اعتبارات هامة تجعل للتصنيف الببليوجرافى دوراً فى المستقبل لم يكن متوقعاً.

* * *

سادسا: التصنيف الدولى

معظم المكتبيين لم يسمع بهذا النظام من أنظمة التصنيف المكتبية رغم أنه قد مضى على وضعه نحو خمسة وثلاثين عاماً ولهم العذر كل العذر فى ذلك فليس هناك مكتبة واحدة حتى فى أمريكا نفسها قد تبنت هذا النظام وطبقته كما أنه كما سنرى لم يوضع أصلا للاستخدام فى المشروعات الببليوجرافية ومن ثم فلم يستخدم أيضاً فى أيها. ومن جهة ثالثة فإن مدارس المكتبات حتى فى موطنه الولايات المتحدة لاتجد محاضرة واحدة لتشير فيها إلى هذا النظام. ويبدو أن سوق المكتبات قد ازدحمت بأنظمة التصنيف فلم يعد هناك متسع لآخر وأحدث هذه الأنظمة «التصنيف الدولى-International Classification.

ولابد بداية من التعريف بواضع هذا التصنيف للجرأة التى اتسم بها ودخوله إلى هذا المجال المزدحم بثلاثة من أكبر خطط التصنيف التى نضجت عبر عشرات من العقود. واضعه هو فريمونت آرثر رايدر ١٨٨٥ ـ ١٩٦٢. واحد من المكتبيين الأمريكيين الذين أثروا المهنة بالعلم والعمل والخبرة. عمل محررا وناشراً وكاتباً وكان مساعداً للمثل ديوى أثناء عمله أمينا لمكتبة الجامعة. وواحد من رواد المصغرات الفيلمية فى الولايات المتحدة.

ولد فريمونت رايدر فى ترنتون ـ نيوجريسى فى ٢٥ مايو ١٨٨٥ . وقضى طفولته فى ميدلتون ـ كنيكتكت حيث استخدم لأول مرة مكتبة جامعة ويزليان التى أصبح مديرا لها فيما بعد. وتخرج رايدر فى جامعة سيراكيوز سنة ١٩٠٥ . وانخرط فى مدرسة المكتبات فى جامعة ولاية نيويورك (التى كان ديوى قد انتقل إليها بعد جامعة كولومبيا) دفعة ١٩٠٧ . وقبل تخرجه دعاه ملفل ديوى إلى أن يشترك فى تحرير ومراجعة طبعات التصنيف العشرى فى نادى ليك بلاسيد وكان لهذه الدعوة أثر كبير على حياته بعد ذلك. وقد التقى رايدر بزوجته الأولى جريس جودفرى ـ قريبة زوجة ديوى ـ فى ذلك النادى وتزوجا سنة ١٩٠٨ . ثم تزوج زوجته الثانية مارى جاللوب امبروز سنة ١٩٥١ .

فى الفترة من ١٩٠٧ وحتى ١٩١٧ عمل رايدر أشياءً كثيرة داخل المهنة. اشتغل نائب رئيس تحرير، ثم محرراً لمجلة الكتاب الشهرية، ثم محرراً لاسبوعية الناشرين ثم محرراً لمجلة المكتبة وبين ١٩١٤ ـ ١٩٣٢ عمل مديرا لمطبعة رايدر (مطبعته الخاصة) التى طبعت فى البداية معظم مطبوعات الناشر بوكر. وقد كسد حال المطبعة فترة الركود الاقتصادى التى حاقت بالعالم واختلف مع اتحاد الطابعين وسحب بوكر حمايته له. وفى تلك الفترة نشر رايدر سلسلة من الأدلة مثل دليل مدينة نيويورك، واشنطن، برمودا، كاليفورنيا ولم يقنع بهذا فألف العديد من القصص القصيرة ونشرها فى المجلات العامة، كما نشر بعض القصائد والأعمال الدرامية واشتغل سمسار عقارات.

وكان لارتباط رايدر بملفل ديوى فى فترة مبكرة من حياته اثره فى عمله بالمكتبات والتأليف فيها فقد دعى ليكون مديرا لمكتبة أولين بجامعة ويزليان سنة ١٩٣٣ ولمدة عقدين تحدى رايدر التقاليد، وجرب ونفذ أفكاراً جديدة رائدة. وكان ينشر تلك التجارب والأفكار الجديدة ونتائجها فى مجلة كان يحررها بنفسه عنوانها «عن الكتب» وقد تضاعف عدد الكتب فى تلك المكتبة فى عهده وبالذات عن طريق شراء «المجموعات الخاصة». وأدخل إلى المكتبة اجراءات محاسبية جديدة وأعد الفهرس البطاقى للمجموعات غير المفهرسة كما أقام علاقات مهنية مع المكتبات المجاورة. وعندما واجه ضيق الحيز، اخترع فكرة التخزين المضغوط للكتب قليلة الاستعمال. وقد ناقش فكرة التخزين المضغوط فى كتاب له بنفس هذا العنوان نشرة سنة ١٩٤٩ .

وكان رايدر من أنصار المصغرات الفيلمية ونشر أفكاره المبكرة عنها فى كتاب «الباحثون ومستقبل مكتبات البحث» الذى نشر سنة ١٩٤٤. وفى سنة ١٩٦١ نال جائزة الاتحاد الوطنى للميكروفيلم عن كتاباته فى هذا الميدان. وقرب نهاية حياته المكتبية فى سنة ١٩٥١ بنى رايدر مكتبة جودفرى التذكارية وهى مكتبة متخصصة للاطلاع الداخلى فقط، متخصصة فى الأنساب. كتب سيرته الذاتية سنة ١٩٥٥ بعنوان «ولا أجيد أيها» من أهم كتبه المتخصصة الأخرى «ملفل ديوى: سيرة حياته» ١٩٤٤؛ «رؤوس الموضوعات والتصنيف فى مجال إدارة الأعمال» ١٩٢٢؛ «رؤوس الموضوعات فى العلوم العسكرية» ١٩٢٢؛ «سياسة العمل بالمكتبة» ١٩٤٣.

وفى سنة ١٩٦١ خرج علينا رايدر بالتصنيف الدولى الذى نحن بصدده والذى توفى بعده مباشرة فى ٢٦ من أكتوبر ١٩٦٢ فى المدينة التى قضى فيها طفولته ميدلتون. ربما كان لوفاته المباشرة بعد ظهور هذا التصنيف أثرها فى عدم انتشاره. ولم يتحدث أحد عن هذا التصنيف إلا من عرض له من ثلاث صفحات فى «مجلة المكتبات» ١٥ أبريل ١٩٦٢ (ص ص ١٥٥٩ ـ ١٥٦١ + فى كلمة مبدئية عن هذا التصنيف يقول رايدر: هذا «التصنيف الدولى» الجديد لا يقصد به أن يوجه إلى المكتبات المتخصصة من أى نوع. لقد أعد خصيصاً لترتيب الكتب على الرفوف فى المكتبات غير المتخصصة أعنى المكتبات العامة، مكتبات الكليات، المكتبات المدرسية.

لقد كان القصد منه أن يخدم فى عملية التصنيف التى تحاولها تلك المكتبات بأسهل الطرق وأقصر رمز تصنيفى. ولهذا لاتجد فيه تعليمات وإرشادات «قسم مثل» أو جداول مساعدة بل إن أرقام الأماكن الجغرافية والشكلية وما شابهها قد وضعت فى مكانها الطبيعى وجعلت جزءاً أساسياً من الرقم ومتكاملاً فيه داخل الجداول الرئيسية.

وعلى الرغم من حقيقة أن رقم التصنيف لا يزيد عن ثلاثة حروف إلا أننى أعتقد أن ستة عشر ألف تفريغ تكفى لتصنيف أية مكتبة غير متخصصة تصل مقتنياتها إلى مليون قطعة وقد حاولت فى هذا العمل أن أجعله متوازنا دون أية تحيزات وطنية، لغوية، أو دينية فى أى من الستة وعشرين رقماً رئيسياً والـ ٦٧٦ شعبة المتفرعة منها.

ولأن بنية هذا التصنيف سلسلة وتخلو من أية جداول مساعدة وتعليمات وإرشادات «قسم مثل» فإن من السهل تطبيقه. والرمز المستخدم فيه سهل الاستعمال قراءة وكتابة.

وقد أكد رايدر فى التصدير الذى يبدأ من صفحة ١١ وحتى صفحة ٣٣، أنه لم يهدف إلى مزاحمة أى تصنيف موجود بالفعل فى المكتبات وبالتالى تقوم بإعادة التصنيف لمجموعاتها وإنما هو قد وضع للمكتبات الجديدة التى لم تبدأ باختيار تصنيفها بعد، تلك المكتبات التى تفتتح بالمئات كل سنة. كذلك قصد به المكتبات القائمة بالفعل والتى لم تصنف مجموعاتها حتى الآن لسبب أو لآخر أو تلك التى لها تصنيف خاص غير مقتنعه به.

ولقد قسم «التصنيف الدولى» المعرفة البشرية إلى ستة وعشرين قسماً رئيسياً يتفرع كل منها إلى ست وعشرين شعبة وكل شعبة إلى ستة وعشرين فرعاً ويتوقف عند هذا المستوى الثالث من التفريع ولا يتجازوه. ونصور تلك الحقيقة رقميا على النحو الآتى:

المستوى الأول	٢٦ قسماً
المستوى الثانى	٢٦ قسماً × ٢٦ شعبة = ٦٧٦ شعبة
المستوى الثالث	٢٦ قسماً × ٢٦ شعبة × ٢٦ فرعاً = ١٧٥٧٦ فرعاً

وقد اختار رايدر لتصنيفه الرمز النقى بالحروف. وهو يرى أن هذا الترميز النقى بالحروف مع البنية السلسلة التى وضع عليها التصنيف يسهلان إلى أبعد حد من استخدامه. وفى التصدير الطويل الذى وضعه يستعرض تعقيدات البنية والترميز الموجودة فى الأنظمة السابقة عليه جميعا. وجوانب التحيز القائم فيها وكيف أنه تجنب هذا وذلك كذلك استعرض جوانب الخلل التى ارتآها فى بنى تلك التصانيف وكيف استفاد من ذلك فى خطته فى وضع بنية جديدة أخذت من الخطط السابقة أحسن ما فيها وتجنبت نواحى القصور.

والأقسام الرئيسية فى هذه الخطة تسير على النحو الآتى:

A	المعارف العامة.
B	الفلسفة وعلم النفس.
C	الديانات.
D	التاريخ العام. التاريخ الأمريكى.
E	تاريخ أوربا.
F	بقية العالم.
G	الجغرافيا العامة. الجغرافيا الأمريكية.
H	جغرافية أوربا.
I	جغرافية بقية العالم.
J	العلوم الاجتماعية
K	القانون
L	الاقتصاديات
M	العلوم السياسية. الحكومات.
N	التربية. الترفيه
O	إدارة الأعمال والصناعة.
P	فنون الحرب. النقل. التجارة.
Q	العلوم الطبيعية.
R	الكيمياء. التكنولوجيا الكيميائية.
S	الهندسة.
T	العلوم البيولوجية.
U	الطب.
V	الزراعة. التدبير المنزلى.
W	الفنون الجميلة. الموسيقى.
X	اللغات.
Y	الأدب (عامة). الانجليزى. الأوربى.
Z	آداب بقية العالم.

وسوف نأخذ قسم المعارف العامة لنرى كيف شعبها إلى ست وعشرين شعبة.

A المعارف العامة.

AA فنون الكتاب. التأليف.

AB الطباعة. التجليد.

AC النشر.

AD ـ بالدول المختلفة.

AE الببليوجرافيا (حسب الأشكال).

AF الببليوجرافيات الوطنية.

AG المكتبات (حسب أنواعها).

AH علم المكتبات.

AI المكتبات (حسب الدول).

AJ الكتب النادرة.

AK دوائر المعارف العامة.

AL الدوريات العامة.

AM مطبوعات الجمعيات العامة.

AN الحوليات والكتب السنوية.

AO الجرائد العامة.

AP براءات الاختراع العامة (تقسم بالدول).

AQ النوادى الاجتماعية الخاصة وغير السرية.

AR الجمعيات السرية.

AS علم المتاحف.

AT المتاحف (بالدول).

AU أدلة المدن.

AV أدلة التليفونات.

AW التراجم العامة (بالدول).

AX الأنساب الأسرية.

AY الرتب والنياشين والألقاب ونظم الفروسية.

AZ الأطالس والخرائط (بالدولة).

وعلى المستوى الثالث والأخير فى هذا التصنيف نأخذ شعبة فنون الكتاب والتأليف لنرى كيف قسمت إلى ست وعشرين فرعاً.

AA فنون الكتاب والتأليف

AAA فن التأليف.

فلسفة وأخلاقيات الكتابة. علم نفس المؤلف. مسئوليات المؤلف.

AAB الرموز التى يتعامل معها المؤلفون.

الرموز التى تمثل الأصوات التى تتحد لتكون كلمات والكلمات تؤدى إلى الأفكار. وفى كل لغة هناك أصوات (أبجديات) الرموز والأصوات كلها تعسفية ولكن يعتمد عليها كل شئ أى ما نسميه بالحضارة.

AAC سجلات هذه الرموز.

التأليف لا قيمة له إذا لم تسجل رموزه على وسائط دائمة، أعنى تحفر على حجر، أو تكتب على بردى أو ورق مطبوع..

AAD الكتابة التى يبدأ بها التأليف.

القلمية. الأبجدية. الكتابة القديمة والوسيطة. طريقة كتابة الحروف كبير، صغير، مائل، مضلع،..

AAE نظم الكتابة المختصرة (السريعة) وليس الاختزال. للاختزال أنظر OBJ.

AAF أدوات الكتابة.

وطرق توفير الجهد أيضا. (ومع ذلك للآلة الكاتبة أنظر OBD).

AAG توفير مصادر المادة العلمية للتأليف

ويدخل فيها أخذ الملاحظات وجمع المادة العلمية وتلخيصها.

AAH ملفات القصاصات وتنظيم المادة العلمية.

AAI قراءة البروفات وتصحيحها.

AAJ الانتحال.

AAK غير مشغول.

AAL التكشيف. الطرق والخطوات

AAM حق المؤلف.

(الحماية القانونية للانتاج الفكرى).

AAN قانون حماية حق المؤلف العام للمواد غير المنشورة.

AAO حق المؤلف الخاص بالمواد من غير المطبوعات.

(الموسيقى، الصور، الأفلام..).

AAP حق المؤلف الدولى

(الاتفاقات الدولية لتنظيم حق المؤلف، بين الدول.. لقوانين حق المؤلف فى دولة معينة أنظر AD).

AAQ التأليف. الطرق وإدارة أعماله.

التأليف للربح، تدريس التأليف التجارى، الدوريات والكتب المرجعية فى التأليف.

AAR كيفية كتابة الأعمال الدرامية.

أنواع المسرحيات.. كيف تعدل الأعمال للإذاعة والانتاج التليفزيونى. كتابة السيناريو للسينما.. كيف تعد الأقنعة والخدع...

AAS كيفية كتابة الشعر.

سواء الجاد أو الساخر (صنف هنا قواميس القوافى).

AAT كيفية كتابة القصة.

كتابة القصة القصيرة. كتابة قصص الأطفال.

AAU كيفية كتابة المادة العلمية.

مقالات المجلات، الرسائل، الكتب الدراسية، المقالات والأبحاث الدسمة. الافتتاحيات. الأعمدة...

AAV الخطب. المعدة والمترجمة.

AAW فن المحادثة.

AAX كتابة الخطابات والرسائل المتبادلة.

AAZ مقومات الكتابة الجيدة.

البحث عن الكلمات غير التقليدية. الجناس. الطباق. الاستعارة. الكناية المحسنات البديعية. البلاغة.

وفى الطبعة التجريبية التى ذكر على صفحة عنوانها أنها «طبعت كالمخطوطة تماماً وذلك لتلقى أية تعليقات أو تصحيحات أو انتقادات أو زيادات» تقع المقدمات كما ذكرنا فى ٣٣ صفحة رقمت بأرقام لاتينية. والملخص الأول بدون ترقيم. وتبدأ الجداول فى مستوييها الثانى والثالث من الصفحة الأولى بالترقيم العادى وحتى صفحة ٩٢٢. ومن صفحة ٩٢٣ حتى ٩٣٠ دراسة عن كيفية تقصير رقم التصنيف وذلك لشعور رايدر بأن رقم الطلب الحالى فى أى نظام تصنيف طويل زيادة عن اللازم. ومن صفحة ٩٣١ حتى ١١٧٣ يوجد كشاف تحليلى للجداول مرتب هجائيا بطبيعة الحال. ويمكن القول بأنه كشاف نسبى مثل كشاف ديوى إلى حد كبير. والأمثلة الآتية توضح ذلك على حسب الترتيب الانجليزى:

امتصاص السوائل	QKH
الغازات	QKM
الحرارة	QLT
فسيولوجيّة	UCU
النبات	TEC
الطيف	QLP
كنيسة الحبشة	CSW
الوثائق	MIG
الجغرافيا	IBA
التاريخ	FAF
اللغات	XZB
التقارير القانونية	KSD
المحاسبة	OI
المزرعة	VAP

الحكومة	MCC
المنازل	VTP
المناجم	SKG
السكك الحديدية	POX
التليفونات	PUV

وتبدو النسبية واضحة أشد الوضوح تحت اسماء الدول حيث تحصر جميع الوجوه وتبلغ تلك الوجوه فى بعض الدول نحو سبعين جمعت معاً فى ترتيبها الهجائى تحت اسم الدولة كما حدث مثلاً بالنسبة للولايات المتحدة وألمانيا والاتحاد السوفيتى. وسوف نأخذ مثالاً من دولة صغيرة حتى تكون التفريعات تحتها محدودة لا تثقل على القارئ ولتكن مصر:

مصر

الآثار	TXP
الفن فى	WBB
الخلفاء	FLN
الوثائق	MTA
التربية فى	NCP
المالية فى	LOP
هروب اليهود إلى	PHI
الجغرافيا	LAE
الجغرافيا التاريخية	DBY
التاريخ	FB
التقارير القانونية	KSA
الحملة الفرنسية	EHA
الآثار الفينقية	TXP
آثار ما قبل التاريخ	TXP
الآثار الرومانية	TXP

وقد تركت الصفحات من ١١٧٤ حتى ١١٨٤ خالية ولو أنها مرقمة وذلك لكتابة التعليقات والتصحيحات التى تراها المكتبة بعد استخدامها.

لقد كتبت مارى هنشو أن تصنيف رايدر الدولى هو تصنيف فريد فى نوعه وإضافة قيمة جدا إلى مجال يصرخ بشدة لجذب الاهتمام إليه.

لقد كان ظهور تصنيف جديد تماما على الساحة الأمريكية أمراً مشجعا لأن نظرة معظم أمناء المكتبات الأمريكيين تجاه التصنيف كأداة استرجاع هى نظرة بالغة الفتور ولقد جاء تصنيف الدكتور رايدر المتحدى يثير الانتباه إلى ضرورة بذل المزيد من البحث والرغبة فى عملية التصنيف، وكذلك إعادة التقييم الشاملة لفكرة التصنيف فى حد ذاتها. وفكرة ميلاد تصنيف جديد لابد وأن تحمل المكتبيين على إعادة النظر فى أنظمة التصنيف التى يعملون بها والممارسات التى يتبعونها حاليا، إعادة النظر بطريقة تحليلية نقدية، ذلك أنه لو كانت الأنظمة الموجودة حاليا تفى بالغرض ومرضية تماماً لما تجشم أحد عناء اعداد نظام جديد يدخل فى منافسة معها.

إن الحكم على نظام تصنيف وتقييمه إنما يقوم على: الترقيم ـ ترتيب الموضوعات وتداعيها ـ الملامح الخاصة ـ قدرته على استيعاب الموضوعات الجديدة. وأهم معيار للحكم على نظام ما وأكثرها أصالة هو استعمال التصنيف فى عدد من المكتبات المختارة لفترة طويلة؛ وملاحظة هذا الاستعمال ورصده وتحليل نتائجه أولاً بأول.

ومن حيث الترقيم يقوم تصنيف رايدر كما أسلفت على فكرة «الترقيم المحدود». وقد استخدمت الحروف اللاتينية هنا وليس الأرقام لأن الأرقام لاتعطى سوى عشرة مجالات فقط بينما الحروف تعطى فرصة لعدد أكبر قد يصل إلى ثلاثة أضعاف مجالات الأرقام وبالتالى فرصة للتوسع الأكبر. ويقوم الترقيم كما هو واضح من النماذج السابقة على أساس ثلاثية الحرف فقط ـ لا أقل ولا أكثر ـ لكل موضوع من موضوعات التصنيف فى الدرجة الأساسية (بصرف النظر عن الملخص الأول والثانى). وقد نتج عن استعمال الترقيم ثلاثى الحرف كما أوضحنا ٢٦ × ٢٦ × ٢٦ = ١٧٥٧٦، أى نحو سبعة عشر ألف وستمائة موضوع كطاقة كلية له. أما من حيث الاستخدام الفعلى فهناك نحو ١٤٠٠٠ موضوع محددة بالفعل ونحو ٣٦٠٠ فراغ لملئها بما يستجد من موضوعات

على ساحة المعرفة البشرية. وهناك ما يربو على ١٥٠٠ مزج لم تستخدم أيضاً. وقد ذكر صاحب التصنيف أن هذه الترقيمات وتداعياتها تكفى لاحتياجات المكتبة «العمومية» غير المتخصصة التى تصل مقتنياتها حتى مليون مجلد. وكما عرضنا لا يتضمن هذا التصنيف أية جداول مساعدة أو تعليمات «صنف مثل»؛ حيث أدرجت كل التقسيمات الجغرافية والشكلية فى مكانها داخل السياق العام للتصنيف فى الجداول. ومن هنا جاءت البنية العامة سهلة الاستخدام والكتابة والقراءة؛ بلا منازع.

وسوف يوافق كل المصنفين على أن الترقيم القصير البسيط المستوعب هو أمر مطلوب ومرغوب تماماً. كما أن الدكتور رايدر يوصى فى تصنيفه باستخدام جداول أرقام بسكو ثنائية الرمز للحلول محل أرقام كتر مما يساعد كثيرا فى تقصير الرقم أكثر. وعن طريق المزج بين رقم التصنيف ورقم بسكو فإن رقم طلب الكتاب لايزيد كله عن خمسة وحدات ترقيمية وقد أعلن الدكتور رايدر أنه يسعى من وراء ذلك إلى إعداد تصنيف للمكتبات العمومية بترقيم بسيط كذلك الذى سعى إليه تصنيف ديوى العشرى الأصلى فى البداية والذى جعله ينجح فى أول الأمر نجاحاً سريعا ومباشراً. ولكنه مع مرور الوقت لم يعد كذلك بسيطاً أو منطقياً فى نظر رايدر.

وقد يختلف البعض مع الدكتور رايدر فى تلك الجزئية فما يزال الترقيم العشرى فى تصنيف ديوى يملك من المرونة ما يجعله يفوق أى نظام آخر مستخدم الآن. وتستطيع أية مكتبة أن تبقى ترقيم ديوى «قصيراً» وبسيطاً ومنطقياً عن طريق استخدام اسلوب «التقطيع» والوقوف بالرقم عند الوحدات المفتاحية. وعلى سبيل المثال فإن النموذج الذى استخدمه رايدر للدلالة على طول الترقيم عند ديوى وهو ٩٢٩٧٦٣٣٤و ٥٨١ والدال على موضوع «نباتات المياه العذبة فى بحيرة بونتشارترين» لايستخدم إلا فى المكتبات التى لديها كتب عن نباتات المياه العذبة فى جميع بحيرات وأنهار الولايات المتحدة وغيرها من الدول. أما بالنسبة للمكتبات العمومية اتى وضع لها تصنيف رايدر فإنه يكفيها تقصير الرقم إلى ٥٨١,٩. وتصبح المسألة هى غلطة المصنف إذا لم يستخدم الرقم المناسب فى مكتبته. إن ترقيم «التصنيف العالمى» هو ترقيم جيد بلا شك وفعال ولكن الترقيم العشرى وترقيم تصنيف الكونجرس ليس بالسوء الذى أشار إليه رايدر.

أما من حيث تداعى الموضوعات فى تصنيف رايدر فإن ترتيب الأقسام الرئيسية الستة والعشرين يشير حتما إلى تفوق ملحوظ على تصنيف ديوى. وفى نفس الوقت تأثر ملحوظ أيضا به. وإعادة ترتيب الموضوعات عموماً يبدو أكثر من ممتاز فى بعض المواضع ومحل جدل فى مواضع أخرى. وقد ورد التاريخ (D - F) والجغرافيا (G - I) كما هو الحال فى تصنيف الكونجرس فى بداية النظام؛ بينما جاءا فى التصنيف العشرى فى نهاية النظام. ويرى المحللون أن الوضع الجديد هو تصحيح لوضع خاطئ فى تصنيف ديوى التقليدى. وكذلك يرون أن الجمع بين الأدب واللغة هو كذلك تصحيح لوضع خاطئ فى تصنيف ديوى الذى باعد تماماً بينهما فى ٤٠٠ و ٨٠٠ بينما اللغة هى وسيلة التعبير عن الأدب بكل فنونه. ومع ذلك فقد وضع رايدر اللغات أولاً ثم أردفها بالآداب معنى هذا على سبيل المثال أنه فصل اللغة الانجليزية عن الأدب الانجليزى باللغات الأخرى. وما فعله رايدر يتمشى مع ممارسات بعض المكتبات الجامعية والمكتبات العامة التى تحرك قسم اللغات لتضعه إلى جانب قسم الآداب فى حجرة واحدة متجاورين ويعتبر فصل «فنون الرياضة» عن «فنون الترفيه» من أخطاء رايدر غير المبررة خاصة أن قسم "W" الخاص بالفنون الجميلة والموسيقى يضم كثيرا من الأنشطة والمجالات التى تقع خارج إطار «الفنون الجميلة».

تقول مارى هنشو لقد وقع التصنيف الدولى مثل تصنيف ديوى فى بعض أخطاء ترتيب الموضوعات. والمفارقات التاريخية فى تصنيف ديوى يؤسف لها ولكنها مفهومة. ولكن عندما ينشأ تضيف جديد غير محكوم بتقاليد تاريخية فإنه يجب أن يكون واعياً لتلك المفارقات التاريخية ونقاط الضعف فى التصانيف التى سبقته ويحاول تجنبها ويصحح أخطاءها. ومن بين تلك المفارقات وجود علم النفس أيضا مع الفلسفة فى قسم واحد، والرسم الهندسى مع الفنون الجميلة، والصحة العقلية التى عالجتها دوائر المعارف والقواميس طويلا كجزء من الصحة العامة مع علم النفس. ومن الملفت للنظر أن نجد علم الآثار هنا مع علم الأحياء مع أن علم الآثار لايعالج أى مجال حيوى عل الاطلاق. كذلك نجد هنا تكنولوجيا الطعام مع تكنولوجيا الكيمياء وهو نفس الخطأ الموجود فى تصنيف ديوى العشرى. والطعام الوحيد الذى يجب أن يعالج تحت تكنولوجيا الكيمياء هو تصنيع المواد الغذائية المركبة أو المخلقة كما تقول مثلا إن النايلون هو ألياف مخلقة أو

مركبة. والعمليات التخليقية التى وردت تحت تكنولوجيا الطعام هى عمليات فيزيائية وبكتيرية وليست تخليقية.

ويلاحظ فى الواقع تأثر التصنيف الدولى بتصنيف ديوى فى العديد من المواضع وعلى سبيل المثال «الفيزياء» حيث تداعت موضوعاتها وتسمياتها بنفس طريقة التصنيف العشرى على الرغم من حدوث تغييرات جذرية فى مجال الفيزياء فى الوقت الحاضر عما كان عليه الحال عندما وضع التصنيف العشرى. وأصبح من الصعب الاستمرار فى نفس الاتجاه فى تقسيم المجال. ولعل من أضعف الحلقات فى تصنيف ديوى هو فشله فى فصل وتمييز الأمراض العضوية للجهاز العصبى عن علم النفس العلاجى. ويعتبر قسم «العلوم الاجتماعية» من أفقر أقسام ديوى تصنيفا وخاصة علم الاجتماع (على الرغم من أن هذا الأخير قد خضع لجدولة فينكس ولكنه عندما صدر التصنيف الدولى لم يكن حدثت إعادة الجدولة). والتصنيف الدولى الذى بين أيدينا يجعل علم الاجتماع مرادفاً ومساوياً للعلوم الاجتماعية ومن ثم يسير فى نفس اتجاه التصنيف العشرى فى كثير من نقائصه فى هذا الجانب.

ولعل من نقاط الضعف الأساسية فى التصنيف الدولى بصفة عامة هو افتقاره إلى «النظرية» أو الإطار الفلسفى الذى بنى عليه. إن النقاد فى مجال التصانيف لا يوافقون على الفلسفة الأساسية التى قام عليها تصنيف ديوى، ولكنهم تعودوا عليها وقبلوها. وتطبيق التصنيف يكمن بالدرجة الأولى فى بساطة هذا التطبيق وامكانيته. لقد فصل التصنيف العشرى بين العلوم «البحتة» والعلوم «التطبيقية» وحرص ديوى فى هذا الصدد على تقسيم موضوعات متوازية تسير فى خطوط متوازية أيضا فى كلا القسمين، كما حرص على وحدة النمط فى تطبيق التقسيمات الشكلية. والتدرج من العام إلى الخاص بدرجات متئدة كلها تعكس وجود إطار أو نظرية تكمن خلف النظام كما تعكس نوعاً من الاتساق. وهذه الخاصية ـ أساس التصنيف ـ غير موجودة فى التصنيف الدولى. وعلى سبيل المثال وضعت الكيمياء ـ كموضوع من موضوعات العلوم البحتة ـ، والهندسة الكيميائية ـ كموضوع من موضوعات العلوم التطبيقية ـ فى نفس القسم. بينما الفيزياء والجيولوجيا الاقتصادية وضعا فى قسم (Q) والهندسة والتعدين فى قسم (S) على الرغم من أن العلاقة بينهما هى نفس العلاقة بين الكيمياء والهندسة الكيميائية

لقد اقتصد التصنيف الدولى فى استخدام التعليمات والاحالات. ورغم أن كمية الاحالات قليلة فى النظام إلا أنها قد تكون مربكة أحياناً، وعلى سبيل المثال تحت رقم (VO) «الزراعة بالدولة» نجد التعليمات تحته «صنف هنا الكتب عن أى جانب من الزراعة يعالج فى إطار دولة ما». وتحت موضوع (LJ) «المصارف والصرافة بالدولة» نجد التعليمات تحته «صنف هنا الكتب التى تعالج المصارف والصرافة فى دولة ما... أما الكتب عن بيوت التخليص فى البرازيل فتصنف تحت «**بيوت التخليص**» بينما تحت رقم (JC) «الاحصائيات بالدول» فلا نجد مثل هذه التعليمات. واحصائيات المواليد فى كندا يمكن أن تصنف تحت JCB أو JAO ومن هنا لا نجد تعليمات تنصح المصنف باتخاذ القرار وذلك لغياب الفلسفة فى تفسير معالجة الموضوع فى إطار النطاق الجغرافى، وإنما تسير الأمور هنا سيرا تعسفياً.

ولو أخذنا بعض عينات عشوائية من الموضوعات للتدليل على غياب الاطار الفلسفى الذى تتحرك فيه الموضوعات، نجد مثلاً أن حوادث الطرق السريعة؛ منع الحوادث والتأمين قد وضعا تحت هندسة الطرق السريعة. بينما لانجد تحت الفروع الأخرى من الهندسة أو الصناعات أى أثر لموضوع «الحوادث أو التأمين». وبينما الطب الشرعى فى هذا التصنيف يعتبر جزءا من الطب إلا أن علم النفس الجنائى قد اعتبر جزءا من القانون وليس من علم النفس. كذلك فإن الأعمال العامة عن المستشفيات قد وضعت تحت الطب بينما المستشفيات فى دول بعينها توضع تحت العلوم الاجتماعية؛ وهذه مجرد نماذج فقط على غياب الاطار الفلسفى فى هذا التصنيف.

والسؤال الآن هل يصمد التصنيف الدولى لاختبار الزمن؟ وهل يستطيع أن يستوعب الموضوعات الجديدة والتوسعات التى تحدث فى الموضوعات القائمة بالفعل؟ وهل يتمكن من مواكبة التطورات التاريخية المتلاحقة. إن استخدام ١٤٠٠٠ موضوع فعليا بالاضافة إلى ٣٥٧٦ مكانا خاليا لموضوعات جديدة مستقبلية يعطى للقارئ انطباعاً حقيقياً بالأمان فى المستقبل البعيد. ولكن لسوء الحظ فإن الخانات الخالية تأتى دائماً من نهاية المجال ومن هنا فإن المفاهيم الجديدة يمكن إضافتها ولكن لا يمكن إدخالها فى المكان الملائم تماماً. وعلى سبيل المثال فإ موضوعاً مثل الغواصات النووية لانجد لها مكانا

ملائماً فى هذا التصنيف. كذلك فإن نشوء دولة جديدة كما حدث فى دول الاتحاد السوفيتى الجديدة وشرق أوربا وبالتالى صدور انتاج فكرى جديد عنها، لن تجد لها مكانا داخل هذا التصنيف. وهناك مجالات أقفلت بالكامل وليس بها خانات خالية ومن بينها على سبيل المثال تواريخ مناطق مثل : لاتفيا؛ لتوانيا؛ استونيا، بورما، أفغانستان... إن ترك خانات للموضوعات المستقبلية قد تم بطريقة غير متوزانة. فالهند والصين تحت كل منهما ١٤ خانة خالية بينما تايوان، لاوس؛ كمبوديا؛ فيتنام، الأردن ليس تحتها سوى خانة واحدة خالية لكل منها. وفى مجالات أخرى بعثرت الخانات الخالية وعلى سبيل المثال هناك خانتان فى وسط أرقام «أسرة مانشو». ونتيجة لذلك فإن ترميزات بعض المجالات سوف تحمل بكتب كثيرة جدا ولتصحيح الوضع سيكون من الضرورى إعادة تنظيم بعض المجالات وإعادة توزيع جزيئاتها. أو التضحية بسلاسة الترقيم وبساطته. ولهذا فإن هذا التصنيف بوضعه الحالى هو تصنيف ساكن أكثر منه تصنيف متحرك ديناميكى. وربما يكون ذلك هو ثمن بساطة وقصر الترقيم.

إن كفاءة أى تصنيف تكمن فى قدرته على الوفاء باحتياجات المكتبة. والدكتور رايدر كما أشرنا فى البداية أكد على أن تصنيفه قد صمم أساساً للمكتبة العمومية غير المتخصصة فقط. وهو يدرك تماماً أن المكتبة المتخصصة تحتاج إلى نظام آخر تماماً ولكن ماذا يعنى رايدر بالمكتبة العمومية، ذلك أن الشائع بين المكتبيين أن مكتبة عمومية ضخمة مثل المكتبة الجامعية الكبيرة أو حتى المكتبات العامة الضخمة هى فى حقيقة الأمر مجموعات خاصة وإن لم تكن متخصصة. وعلى هذا الأساس فإن موضوعات الـ ٦١٠ فى تصنيف ديوى قد صممت لتفى باحتياجات المكتبة الطبية ولكن لم تصمم لمكتبة متخصصة فى شلل الأطفال. كذلك فإن شعبة ٥٨٠ فى التصنيف العشرى قد صممت لمكتبة خاصة بالنبات ولكنها لا تصلح لمكتبة متخصصة فى «الزنابق» ولكننا نعتقد كما فسر رايدر أنه يقصد بالمكتبة العمومية المكتبة المدرسية ذات المجموعات العامة والمكتبات العامة التى تخدم المثقف العام غير المخصص ومكتبة الكليات ذات الطابع العام مثل كليات الآداب. ولم ينصرف ذهنه أصلاً إلى المكتبة الجامعية أو ذات التخصص الغالب أو مكتبات الكليات التخصصية.

ورغم كل ما عرضنا له من أخطاء النظام الدولى فإن هذا التصنيف هو «ضرورة» لكل المكتبات المدرسية والمكتبات العامة الأجنبية وننصح بترجمته وتعديله إلى اللغات الأخرى. ويكفيه المقدمة القيمة التى كتبها رايدر عن تصنيف الكتب والفرق بينه وبين التصنيف الببليوجرافى وتاريخ تصنيف العلوم، بطريقة سهلة بسيطة ولغة مفهومة. ونرجو أن يلتفت إليه مدرسو التصنيف فى أقسام المكتبات ومدارسها فهو لا يخلو من فائدة. ولكن لسوء حظه أن مات عنه صاحبه بعد عام واحد من نشره ولم تتح له الفرصة للتجريب والاستخدام والتطوير بناء على التجريب والاستخدام.

* * *